العدد 6 ربيع الأول 1430

قضايا جهادية

مجلة إسلامية بحثية تهتم بالشأن الجهادي العالمي



قائمة الـ 85

ردة فعل على قرار التوحد

الفريضة المميعة : الموالاة و المعاداة في الله

استراتيجيات باراك أوباما

مركز اليقين الإعلامي - قضايا جهادية - العدد السادس - ربيع الأول 1430 - مارس 2009 - حقوق النشر لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيّة

أفغانستان ليست العراق يا أوباما

عبارة كررها الكثير من الخبراء في وسائل الإعلام الأمريكية ، تحذيراً لأوباما من مشروع حملته الانتخابية الذي يتحدث عن نقل أكثر من ٣٠ الف جندي أمريكي من العراق إلى أفغانستان ، وقد تم تسويق مشروعه هذا على أنه الحل السحري لوقف هزائم الأمريكيين في أفغانستان ، حيث يتم حاليا العمل على نقل ١٧ ألف منهم بمعدل ٥ آلاف جندي وضابط شهرياً .
فحسب ما يبدو من ظاهر الأمور فإن أوباما لا يملك تصوراً واضحاً عن الخطوة القادمة بعد نقل الجنود إلى أفغانستان ، ولا عن المهمة الدقيقة التي سيكلف بها هؤلاء الجنود الجدد ، حيث سيصل الجنود إلى ساحة القتال ولم تتضح بعد خطة أوباما للاستفادة من هؤلاء الجنود الذين سيدخلون ساحة قتال جديدة لم يألفوها سابقاً تختلف كثيراً عن ساحة القتال في العراق، و حتى قائد قواته بترايوس صاحب صحوات العراق يبدو أنه لا يملك مشروعاً آخر في أفغانستان بعد أن فشلت محاولاته لإنشاء صحوات مماثلة في أفغانستان ومناطق القبائل في باكستان .
ومما يزيد الطين الأفغاني الذي يغوص فيه الأمريكيون بلة ، الرفض القاطع لجميع حلفائهم الأوربيين في الناتو إرسال أي جنود إضافيين إلى افغانستان بعد أن أعلن قادتهم العسكريون استحالة تحقيق النصر على المجاهدين هناك ، مما قد يجعل أوباما وحيداً بانتظار صيف أفغانستان القادم الذي سيكون بالتأكيد أشد حرارة من فصول الصيف التي جربها بوش جميعاً ، بل ربما يكون الصيف الأخير الذي سيربح فيه الضباط الأمريكان من صفقات الأفيون الأفغاني الرخيص .

فالمجاهدون لا يرون في الـ ١٧ ألف جندي الذين سيحلون على أرضهم سوى ١٧ ألف هدف جديد لعمليات القنص والعبوات الناسفة والعمليات الاستشهادية ، وفي الوقت نفسه هُم تخفيف للحمل عن إخوان لهم في جبهة أخرى .

بل ربما يتذكرون قول الرشيد عندما خاطب السحابة : أمطري حيثما شئت فإن خراجك عائد إليّ ، فيقول أحدهم مخاطباً جنود الصليب : انتقلوا حيثما شئتم فلن تجدوا غير سيوف أهل الإسلام بانتظاركم أينما حللتم .

قضايا جهادية

مجلة إسلامية بحثيّة تهتم بالشأن الجهادي العالمي

العدد السادس - ربيع الأول ١٤٣٠ هـ

تصدر عن :

رئيس التحرير
حامد بن حسن القحطاني

الفهرس

قضايا إيمانية

في الصميم

خبر وتعليق

تأملات في المنهج

متابعات

قضايا استراتيجية

قضايا إعلامية

وثائق جهادية

الفريضة المميعة : الموالاة و المعاداة في الله

عبد اللّه العامري

يُقرر أهل العلم أن تكرار الآيات في موضوع معين لهو دليل على أهمية هـذا الموضوع الذي يكرّره رب العزة و الجـلال في كتابه , و إن من أكثر ما كُرّر في كتاب الله بعـد وجوب التوحيد و تحريم ضده, هو موالاة المؤمنين و البراءة من المشركين , كما ذكر ذلك العلامة حمد بن عتيق - رحمه الله -

و مِن أهـم معالـم الضعف في هـذه الأمة بل فـي كل أمة مهزومة أو مسـتضعفة , انشـراخ جدران الولاء و البراء عند أبنائها , و تحول موالاتهم لأعدائهم أو إلى حطام الدنيا الزائل , و من المعلوم لكل ذي لُبّ أن من أهم معالم القوة و الاستعلاء لدى الأمم القوية المنتصرة هو اعتزازهم بقيمهم و حضارتهم و ثقافتهـم , حتى يؤدي ذلـك إلى موالاتهم و معاداتهم على هـذه الحضارة و مـا تحوي من قيـم و مبادئ , فهـذا هو الخط الأحمر و الأخير في قلاع القوة التي تمتلكها أية أمة .

و لا عجب أن تصرخ الشعوب الأوروبية في قادتها للابتعاد عن هيمنـة الثقافة الأمريكية التي كانت - سـابقاً قبل دخولها فـي معركة مع المجاهدين - فـي أوج قوتها و نضارتها , لأنهم يدركـون جيـداً هذا المعنى , و الذي هو و لا شـك عنوان الأمة القوية المتحررة من القوى الأخرى , و لذلك كان من تصريحات رئيس الحملة الصليبية - سـابقاً - بوش المتزامنة مع الحملة العسكرية أنه سينشر الثقافة الأمريكية ؛ لأنه يعلم أهميتها .

و لذلك افترض **اللّٰه** عز و جل هذه الفريضة العظيمة و التي تُعـد من أهم أصول الديـن و أعمدته العظـام , فالأمة التي لا تمتلـك هـذه العقيدة لا تسـتطيع دفع الأعـداء و لا الجهاد في سـبيل الله (و اللـذان هما أجلى صور المـوالاة للمؤمنين و المعاداة للكافرين) , و لذلك قال الله تعالى :
«وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَـاء بَعْض يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّـلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّه وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّه إِنَّ اللّه عَزِيزٌ حَكِيمٌ»
وأعلى صور الأمر بالمعروف ... - هو : الجهاد في سبيل الله , فإذا ضعفـت موالاة الأمة و معادتها فـي الله أو انحرفت , ضُعف قيامها بالجهاد خصوصاً و هو أول ما يضعف منها ؛ لأنه أعلى المراتـب , ثم ضعف قيامها بفريضة الأمـر بالمعروف و النهي عن المنكر عموماً .

و لهذا حرص الإسـلام على أن يكون أتباعه ممن تمسكوا بهذه الفريضة و قاموا بها على وجهها , فَسَـدّ كل الذرائع المؤدية إلى الخلل في فريضة الولاء و البراء أو إلى تسلل الوهن إليها, فمنع التشـبه بالكفار و أمـر بمخالفتهم و حرص على ذلك , حتى صيام عاشوراء أضاف له النبي - صلى الله عليه و سلم - يومـاً يُصام معه , لأجل مخالفـة الكفار لا غير , و هذا يدلك على أهمية هذا الباب في دين الإسلام .

و هـذا ليـس غريباً إذا علمنا ما تقدم مـن أن الخلل في الموالاة و المعـاداة و انحرافها عن غير مسـارها الصحيح هو سـبب أولـي في ترك الأمـر بالمعروف و النهي عـن المنكر و الذي منه الجهاد في سـبيل **اللّٰه** , فضلاً عـن أنه ركن من أركان القدرة على إقامة الدين و دعوة الناس إليه , إذ لا يستطيع فعل ذلك إلا مـن هـو معتز غاية الاعتـزاز بما يدين به و لـن يصمد أمام شبهات و مغريات العدو إلا من هو كذلك .

فهذه الفريضة - في الحقيقة - هي روح الإسلام و التي بدونها لا يستطيع المرء أن يبقى في هذه الدنيا عزيزاً شامخاً متمسكاً بدينه و عقيدته , بل سـيبقى مهاناً ذليلاً , و تابعاً لا متبوعاً .

فلا عجب أن تكون هذه الشعيرة كما قال السعدي - رحمه اللّه -:
(موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان ؛ لأن الإيمان يأمر بموالاة **اللّٰه** وموالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين على إقامة دين **اللّٰه** وجهاد أعدائه , قال تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْض» فمن والـى الكافرين من دون المؤمنين الذين يريدون أن يطفئوا نـور **اللّٰه** و يفتنوا أولياءه , خرج من حـزب المؤمنين وصار من حزب الكافرين).

قال ابن القيم - رحمه اللّه - :

لو كان حبهـم لأجل الله ما ... عـادوا أحبته علـى الإيمـان
ولمّا أحبـوا سُـخطَه وتجنبوا ... محبوبـه ومواقـع الرضـوان
شرط المحبة أن توافق من تحب ... علـى محبتـه بـلا عصيـان
فإذا ادَّعيتَ لـه المحبة مع خِلا ... فكَ ما يُحـبُّ فأنت ذو بهتان
أتحب أعـداء الحبيـب وتدَّعي ... حبـاً له مـا ذاك فـي إمكان

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :
(من أحوال القلب و أعماله ما يكون من لوازم الإيمان الثابتة فيه , بحيث إذا كان الإنسان مؤمناً لزم ذلك بغير قصد منه و لا تعمد له , و إذا لم يوجد دل على أن الإيمان الواجب لم يحصل في القلب , و هذا كقوله تعالى :
«لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ»
فأخبر - تعالى - أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله , فإن نفس الإيمان ينافي مُوادته , كما ينفي أحد الضدين الآخر , فإذا وُجِد الإيمان انتفى ضده و هو موالاة أعداء الله , فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلا على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب).

تعريف الموالاة :

انصبّ كلام أهل العلم على تعريف الموالاة بأنها هي النصرة و الإعانة و المحبة , قال البغوي - رحمه الله - في تفسير «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ» : أي ناصرهم و معينهم ا.هـ , ففسر الولاية بالنصرة و الإعانة , و قال السعدي - رحمه الله - : وأصل الولاية المحبة والنصرة ا.هـ و قال في موضع آخر : وهذا نهي من الله تعالى للمؤمنين عن موالاة الكافرين بالمحبة والنصرة والاستعانة بهم على أمر من أمور المسلمين وتوعد على ذلك . ا.هـ

فمن ناصر الكفار أو أعانهم أو أحبهم فكل هذا من ولايتهم التي ورد النهي الشديد عن صرفها إلى الكفار و أن الواجب أن تكون لأهل الإيمان , كما قال تعالى :
«لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ» .
و قد جعل بعضهم الركن الأكبر في الموالاة هو الحب , و الثمرة العملية لهذا الحب هي النصرة , و هذا غير صحيح , و ليس لذلك مستند من لغة العرب ولا نصوص الوحيين, و إنما يذكرون ذلك نصرة لمذهبهم في هذه المسألة كما سيتضح لك .

و الصحيح أن الركن الأكبر فيها أنها هي النصرة التي تستلزم المحبة و الإعانة و الإكرام و نحو ذلك , و يؤكد هذا أن الإنسان قد يوالي قوماً مع عدم محبته لهم بل يناصرهم لأجل جاه أو مال أو أي غرض آخر , فلو كانت المحبة هي ركن فيها لما سُمِّي فعله حينئذ - موالاة !

و على هذا أئمة اللغة كالفراء و الكسائي و الزجاج و الأزهري و غيرهم , فقد نقل في لسان العرب عن الفراء قوله في معنى قول الله تعالى (أَن تَوَلَّوْهُمْ) : أي تنصروهم , ثم أورد كلام الأزهري تعقيباً عليه , فقال : قال أبو منصور : جعل التولي ههنا بمعنى النصر من الولي و المولى وهو الناصر . ا.هـ و قال في مختار الصحاح : و الولاية بالفتح والكسر النصرة . ا.هـ

فجعْلُ المحبة أولى معاني الموالاة يعوزه الدليل بل هو خطأ ظاهر كما تقدم .
و الفرق بين الأمرين : هو أن من جعل الموالاة ترتكز على الحب أراد بهذا نفي تكفير من أتى بالنصرة العملية لأنها ثمرة للحب , و ما دام أن أصل الموالاة و ركنها الأعظم موجود و هو المحبة , فإن هذا يعني - عندهم - أن من لم يأت بالثمرة فإن أصل الإسلام يبقى معه , و ذلك كمن قاتل ضد المسلمين و صار تحت راية الصليب يفتح لهم البلدان و يجعل المسلمين عبيداً و سبايا للصليبيين فإنه لا يكفر - عندهم - حتى يصرح عن عقيدته بأنه يحب دين الكفر و أهله فعند ذلك فقط يكفر ! , و هذا ظاهر الفساد , تمجه العقول الصحيحة و الفطر السليمة , فضلاً عن النصوص الصريحة الصحيحة و بضدها تتبين الأشياء .

وموالاة الكفار على قسمين : الأول : الموالاة الكبرى و سماها بعض أهل العلم بـ (التولي) و هي كفر أكبر مخرج من الملة, كما قال تعالى : «وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» .
و الثاني : الموالاة الصغرى و هي كبيرة من كبائر الذنوب , و يدل على ذلك عمومات الآيات و الأحاديث التي تنهى عن موالاة الكفار و ما يوصل إليها .
قال العلامة عبد الله بن عبد اللطيف - رحمه الله - :
(فرقٌ بين التولي و الموالاة عند أهل التحقيق :
فالموالاة مثل : لين الكلام و إظهار شيء من البشاشة , أو لياقة الدواة[1] أو ما أشبه ذلك , خصوصاً إذا كان يعرف بالبراءة من دينهم و إظهار ذلك لهم , فهذا مرتكب كبيرة بموالاته على هذه الأمور, و هي من أكبر كبائر الذنوب .

و أما التولي الذي حقيقته الإكرام و الثناء و النصرة و الإعانة و المعاشرة و عدم البراءة الظاهرة , فهذه ردة صريحة كما دل على ذلك الدليل من : ١- كتاب الله ٢- و سنة نبيه - صلى الله عليه و سلم ٣- و اتفاق العلماء على ذلك . ا.هـ [2]
فالموالاة الصغرى هي من أكبر الكبائر ليس لوجود محبة للكفار , بل هي كذلك مع البراءة منهم و من دينهم , سواء أقام بما يجب عليه من إعلان ذلك , أو لم يزد على البراءة القلبية , و إنما صار كبيرة من أكبر الكبائر لأن هذه الأفعال فيها تعظيم لهم و إعلاء لمنزلتهم و رفعة لقدرهم و إشعار بسيادتهم , فكل ما كان من هذا الجنس و أشعر بتعظيمهم و علوهم مع بغضهم و البراءة منهم كان تحت هذا القسم الذي لا يخرج من الملة .
و أما أهل الذمة فيختصون عن غيرهم بجواز الإحسان إليهم بما لا يؤدي إلى ما سبق كالرفق بضعيفهم و إطعام الجائع و إيصالهم لحقوقهم , و احتمال أذاهم لا خوفاً منهم

١- قال الإمام ابن الجوزي في الغريب : في الحديث : (أين من ألاق لهم دواة) أي أمسكها . ا.هـ , و قال في القاموس المحيط : لاقَ الدّواةَ ... جعلَ لها لِيَقَةً أو أصْلَحَ مِدادَها . ا.هـ , و قال الجواليقي : لاق الدواة و ألاقها إذا حبس الأنفاس فيها حتى يلصق ا.هـ أي يلصق بصوفة الدواة , و الأنفاس تعني المداد الذي يُكتب به , قال في لسان العرب : النقس : المداد , و الجمع أنقاس ا.هـ
٢- و هذا يبين لك أن الجندي المنتسب للإسلام المنضوي تحت راية الحملة الصليبية كافر مرتد , و أنه أولى بالقتل من إخوانه جنود النصارى الآخرين , و إن صلى و زكى و صام و حج البيت الحرام, بإجماع أهل العلم .

أو تعظيماً لهم , و نحو ذلك مع البراءة التامة و البغض لهم, فهذا الذي لا يؤثم عليه المرء بل يؤجر على قدر نيته .

و أما الموالاة الكبرى فيبينها الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن بقوله: (الأمر الثالث - من نواقض التوحيد - : موالاة المشرك و الركون إليه و نصرته و إعانته باليد أو اللسان أو المال كما قال تعالى «فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ») ا.هـ فمن نصرهم و أعانهم بالفعل أو القول , فقد خرج من الملة و مأواه النار و بئس المصير .

و لاحِظ قول العلامة عبد الله بن عبد اللطيف حينما قال في التولي : و عدم البراءة الظاهرة ا.هـ أي أنه لو كان هناك براءة باطنة مبغضاً الكفر و أهله و قد تولى المشركين , لم يكن مسلماً بل يكون مرتداً باتفاق العلماء كما نقل - رحمه الله - .

و اعلم بأنه في الأعصار المتأخرة خرج من «المتسننة» من يزعم أن الموالاة الكبرى لا يكفر صاحبها حتى يعتقد محبة دين الكفار , فمن قاتل تحت راية المشركين ضد المسلمين بل حتى لو قاد جيوش المشركين لاستباحة بيضة المسلمين فإنهم لا يقولون بكفره حتى يصرح بمحبة دين المشركين و يقصد علوهم و ظهورهم على المسلمين ! و هذا قول فاسد مظلم يفتقد نور الوحيين و قد تقدم شيء من ذلك.

قال الإمام ابن عطية - رحمه الله - عند قوله تعالى : «لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء .. » : (هذا النهي عن الاتخاذ, إنما هو فيما يظهره المرء , فأما أن يتخذه بقلبه ونيته فلا يفعل ذلك مؤمن , و المنهيون هنا قد قرر لهم الإيمان فالنهي إنما هو عبارة عن إظهار اللطف للكفار والميل إليهم) ا.هـ أي ما اصطلحوا عليه بالموالاة الصغرى .

و قال الإمام سليمان بن عبد الله - رحمه الله - : (فأخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا , و لم يرخص في موافقتهم خوفاً على النفس و المال و الحرمة , بل أخبر عمن وافقهم بعد أن قاتلوه : ليدفع شرهم أنه مرتد) ا.هـ فكيف بمن وافقهم من غير قتال ؟؟ فكيف بمن سارع إليهم مع أنهم لم يقاتلوه كمرتدي الصحوات ؟؟ لا شك أنهم أولى بأن لا يعذروا , و أنهم أشد كفراً من أولئك الذين تكلم الله عنهم , قال الإمام سليمان بعد ذلك : (فإذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه لا عذر له , عرفت أن الذين يأتون إليهم يسارعون في الموافقة لهم من غير خوف و لا قتال أنهم أولى بعدم العذر و أنهم كفار مرتدون) ا.هـ

و قال الشيخ المحدث سليمان العلوان رداً على هؤلاء : (و ليس من شروط الكفر أن تكون مظاهرته للكفار محبة لدينهم و رضى به . فهذا الشرط ليس بشيء : لأن محبة دين الكفار و الرضى به كفر أكبر بإجماع الناس دون مظاهرتهم على المسلمين فهذا مناط آخر في الكفر . ولو زعم المظاهر محبة الدين وبغض الكفار والمشركين فإن كثيراً من الكفار والمرتدين لم يتركوا الحق بغضاً له ولا سخطاً لدينهم وإنما لهم عرض من عروض الدنيا فآثروه على الدين قال تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّه لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ») ا.هـ .

و قال الشيخ المحقق علي الخضير : (و من شبه المرجئة اليوم هو تقييد المظاهرة ببغض الإسلام أو لأجل كفرهم فيقول : إنه إذا ظاهر الكفار بغضاً للإسلام . أو ظاهر الكفار من أجل كفرهم هذا الذي يكفر . وما عداه فلا . وهذا قول باطل . و مصادم للنصوص ...) ا.هـ ثم ذكرها .[٣].

و عند النظر في قول هؤلاء نجد أنهم في الحقيقة قد أفرغوا النصوص من معانيها و مضامينها , فإذا كانت محبة دين الكفار كفر بالإجماع و هو من معاني لا إله إلا الله الضرورية و قد نص العلماء عليها في شروط هذه الكلمة , فإذا كان كذلك .. فما فائدة تكرار هذه النصوص العظيمة و تحذيرها و تكفيرها لمن تولى الكفار !

إن هذه الأهمية كامنة في أن هذه المسألة يكثر الوقوع فيها, و يقع أكثرهم دون أن يشعر بذلك , فهي قد أتت بمعنى قد يخفى على البعض , لا بمعنى ظاهر لكل من يعقل , و إلا كان تكراراً لا معنى له , و إلا فهل يخفى على مسلم أن محبة دين الكفار كفر أكبر ؟ .

جاء عن محمد بن سيرين أنه قال : قال عبد الله بن عتبة : ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر ! قال : فظنناه يريد هذه الآية «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء ..» و روي مثل هذا المعنى عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - .[٤]

و قد ذكر العلامة حمد بن عتيق - رحمه الله - حالات موافقة المشركين فقال : (اعلم أن إظهار الموافقة للمشركين له ثلاث حالات :

الأولى : أن يوافقهم في الظاهر و الباطن فينقاد لهم بظاهره و يميل إليهم و يوادهم بباطنه فهذا كافر خارج من الإسلام سواء أكان مكرهاً على ذلك أم لم يكن مكرهاً ...

الثانية : أن يوافقهم و يميل إليهم- أي إلى المشركين - في الباطن مع مخالفتهم في الظاهر فهذا كافر أيضاً و لكن إذا عمل بالإسلام ظاهراً عصم ماله و دمه و هو المنافق .

---

٣ - هؤلاء في الحقيقة يتفقون مع المرجئة في هذه المسألة , لكن من كان - من القائلين بهذا القول الشاذ - أصوله أصول أهل السنة و الجماعة فلا يطلق عليه مرجئ.

٤ - و لهؤلاء شبه كثيرة رد عليها أهل السنة بما يشفي و يكفي و فندوها خير تفنيد , و لمن أراد المزيد فليراجع كتاب «التبيان في كفر من أعان الأمريكان» للشيخ ناصر الفهد فهو كتاب قيم و جامع , و قد رد فيه على «٩» شبه لهم , و هناك غيره من رد على بعض الشبه الأخرى التي لم يطلع عليها الشيخ ناصر و لم يوردها في كتابه فلتُنظر .

و قد نقل عن بعض القائلين بهذا القول الشاذ من المعاصرين قبل تغير أحواله أنه قال : إن الخلاف في هذه المسألة سياسي أكثر من كونه خلافاً فقهياً ! ا.هـ و قد صدق .

الثالثة : أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن و هو من وجهين :

أ- أن يفعل ذلك لكونه في سلطانهم مع ضربهم و تقييدهم له و يتهددونه بالقتل فيقولون له إما أن توافقنا و تظهر الانقياد لنا و إلا قتلناك فإنه و الحالة هذه , يجوز له موافقتهم في الظاهر , مع كون قلبه مطمئن بالإيمان كما جرى لعمار - رضي الله عنه - ...

ب- أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن , و هو ليس في سلطانهم , و إنما حمله على ذلك إما طمع , أو رئاسة , أو مال , أو مشحة بوطن , أو عيال , أو خوف مما يحدث في المال , فإنه في هذه الحال يكون مرتداً و لا تنفعه كراهته لهم في الباطن و هو ممن قال الله فيهم :

«ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»

فأخبر أنه لم يحملهم على الكفر , الجهل أو بغضه , و لا محبة الباطل , و إنما هو أن لهم حظاً من حظوظ الدنيا فآثروه على الدين , هذا معنى كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله و عفا عنه -) ا.هـ

و هذا كلام ظاهر بيّن في ردة من تولى المشركين و لو لم يقصد محبة دينهم أو ظهوره على الإسلام , قال العلامة أحمد شاكر - رحمه الله - :

(أما التعاون مع الإنجليز , بأي نوع من أنواع التعاون , قلّ أو كثر, فهو الردّة الجامحة . والكفر الصّراح, لا يقبل فيه اعتذار, ولا ينفع معه تأول , ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء . ولا سياسة خرقاء , ولا مجاملة هي النفاق), ثم ذكر التعاون مع الفرنسيين فقال : (فهم والإنجليز في الحكم سواء , دماؤهم وأموالهم حلال في كل مكان , ولا يجوز لمسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يتعاون معهم بأي نوع من أنواع التعاون , وإن التعاون معهم حكمه حكم التعاون مع الإنجليز : الردة والخروج من الإسلام جملة , أيا كان لون المتعاون معهم أو نوعه أو جنسه).

و يتبين للقارئ الفطن من الكلام السابق فساد تقسيم مجالس صحوات الردة في العراق أو أفغانستان إلى أقسام لإخراج بعضهم بل أغلبيتهم من حكم الردة , و أنه إحداث بدعة في الدين لم يأت بها شرع رب العالمين , و أنهم مرتدون جملة واحدة بلا خلاف بين أهل العلم كما تقدم . [٥]

و كلام أئمة أهل العلم واضح جلي في هذا , و أما كلام العلامة أحمد شاكر فما عليك إلا أن تضع كلمة (الأمريكان) بدل (الإنجليز) ليظهر لك بجلاء حقيقة الحزب المسمى زوراً بـ «الإسلامي» و نحوه من أحزاب الردة . [٦]

٥ - هذا وجه واحد من أوجه فساد هذا التقسيم و إلا فالأوجه على فساده و بطلانه أكثر من هذا بكثير من النقل و العقل , و إن زخرفوه بالسياسة و فقه الواقع , و لكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق .

٦ - إطلاق أحكام التكفير يجب أن يقتصر على أهل العلم , و أن لا يحكم طالب العلم في مثل هذه الأمور الدقيقة بمجرد رأيه و دون رجوع لأهل العلم أصحاب الشأن في ذلك , فإطلاق الحكم على المعين إذا فعل مكفراً ليس على قاعدة مطردة كـ (١+١= ٢) فليتنبه لهذا و ليكن المسلم أحذر الناس و أخوفهم على دينه , قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وباب التكفير باب خطر ولا نعدل بالسلامة شيئاً) ا.هـ

و ليتأمل الناظر في هذه المسألة .. في أصل من أصول أهل السنة و هو تلازم الظاهر و الباطن , فإنه مفتاح يجلو لك شبه القوم في هذه المسألة بل حتى في غيرها من المسائل المشابهة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (القلب إذا تحقق ما فيه - أي من الإيمان أو الكفر - , أثّر في الظاهر ضرورة لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر , فالإرادة الجازمة للفعل مع القدرة التامة توجب وقوع المقدور , فإذا كان في القلب حب الله ورسوله ثابتا استلزم موالاة أوليائه ومعاداة أعدائه «لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ», «وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء» فهذا التلازم أمر ضروري ... ومن عرف الملازمات التي بين الأمور الباطنة والظاهرة , زالت عنه شبهات كثيرة في مثل هذه المواضع التي كثر اختلاف الناس فيها) ا.هـ

و قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - : (الأعمال الظاهرة في الشرع دليل على ما في الباطن , فإن كان الظاهر منخرماً حكم على الباطن بذلك, أو مستقيماً حكم على الباطن بذلك أيضاً و هو أصل عام في الفقه و سائر الأحكام العاديات و التجريبيات , بل الالتفات إليها من هذا الوجه نافع في جملة الشريعة جداً و الأدلة على صحته كثيرة جداً , و كفى بذلك عمدة أنه الحاكم بإيمان المؤمن و كفر الكافر ... بل هو كلية التشريع و عمدة التكليف بالنسبة إلى إقامة حدود الشعائر الإسلامية الخاصة و العامة .) ا.هـ [٧]

فمن قاتل مع المشركين ضد أهل الإسلام (و هي موالاة كبرى): فإن هذا الظاهر الكفري يستلزم الباطن و لابُد , مثله كمثل من سجد لصنم أو دعا غير الله و نحو ذلك , فلا يصح اشتراط القصد في هذه الأمور الظاهرة غير الملتبسة التي تناقض أصل التوحيد , قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (من قال أو فعل ما هو كُفْرٌ : كَفَرَ بذلك , و إن لم يقصد أن يكون كافراً إذ لا يقصد الكفر أحد إلا ما شاء الله) . ا.هـ

قال الشيخ علي الخضير : (ومثل هذه الشبهة . شبهة أخرى خطيرة مثلها وهي ربط المظاهرة بالاعتقاد وأنه لا يكفر حتى يعتقد . وهذا إرجاء وكفى . فإن الحكم أو الاسم إذا علق بالعمل والأمر الظاهر في الأدلة ثم صرف إلى الاعتقاد فهذا هو أصل الإرجاء الخبيث .) ا.هـ

و اعلم - رحمك الله - أن موالاة أهل الإيمان ليست على جنس واحد , بل إن من أصول أهل السنة أنهم يوالون المؤمن على قدر إيمانه و يبغضونه بقدر فسقه و معصيته , و هو ظاهر في كلام الأئمة - رحمهم الله - ,

>

٧ - طبعاً ليس هذا التلازم على إطلاقه , لكن الأصل هو هذا , فالمنافق يعمل في الظاهر صلاحاً لكنه لم يستلزم صلاح باطنه الفاسد .

قال الشيخ العلامة حمود الشعيبي - رحمه الله - :

(الناس بالنسبة للموالاة والمعاداة ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من آمن بالله ورسوله , وصدق بدينه وشرعه, وامتثل لأوامره , وتجنب معاصيه , فهذا القسم أهله يستحقون الولاية الكاملة من جميع الوجوه .

القسم الثاني : من كفر بالله ورسوله , ولم يؤمن بدينه وشرعه , فهؤلاء يستحقون المعاداة الكاملة من جميع الوجوه .

القسم الثالث : الذين آمنوا بالله ورسوله ودينه وشرعه , ولكن حصلت منهم بعض المخالفات من ارتكابه بعض المعاصي وترك بعض الواجبات , فهؤلاء يوالون من جهة إيمانهم بالله ورسوله ويعادون من جهة تقصيرهم في الأوامر والنواهي) ا.هـ

و معاداة أهل القسم الثالث له شروط و ضوابط تضبط هذه القضية و ليس هذا موضعها , لأن الناس فيه بين إفراط و تفريط , و قد صنف فيه بعضهم مصنفات فلتراجع .

و بهذا تعلم أن الدين و أهله - حقاً - في غربة , و أن أهل الحق من بقية الخلق - صدقاً - في وحشة , فلا تعجب أن يقال للباطل و أهله أنهم أهل فقه و سياسة و حنكة , و للحق و أهله أنهم أهل غلو و تطرف و شدة , و حسب الموحد (طوبى للغرباء). (٨)





٨ - رواه مسلم و غيره .



تعريف:

١ - يُعتبر الشيخ مروان من أهم قادة الدعوة والجهاد في العصر الحديث :
- ولـد فـي فـي حماة عام ١٩٣٤ في أسـرة كلها من الاشـتراكيين (حزب أكرم الحوراني) .
- تخرج من كلية الزراعة - جامعة عين شـمس عام ١٩٦٤ . وكان قد تأخر في الجامعة بسبب كثرة اعتقاله من قبل مخابرات جمال عبد الناصر . كما درس الفلسفة في جامعة دمشق.
- قاد الاحتجاجات الشـعبية في مدينة حماة ضد الممارسات المعادية للإسلام من قبل حكومة حزب البعث الطائفية. واعتقل بسبب ذلك . وحكم بالاعدام عـام ١٩٦٤ بعـد اعتصام قـادّه في جامع السـلطان بحماة حين قـام النظام البعثـي بقصف المسـجًد بالمدفعية والدبابـات لفك الاعتصـام فقتل ٤ من المعتصمين . ولكن قدّر الله: فلم ينفذ فيه حكم الاعدام بسبب تدخل علماء سوريا مطالبين بإطلاق سراحه .
- كان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين في سوريا ثم خرج منها بعد أن قرر إعلان الجهاد على حكومة البعث النصيرية .
- اعتقل مرة أخرى عام ١٩٧٥ بعد معركة دامت عدة ساعات ولاقى في السجن أقسـى أنواع التعذيب دون أن يحصلوا منه على كلمة واحدة ترضيهم . وقتل بإبرة سامة في شهر حزيران عام ١٩٧٦ .
له ديوان شعر منشور مليء بمعاني التضحية والجهاد . فرحمه الله تعالى .

وهذه بعض من كلماته. التي نحسبه قُتل يؤمن بها.

يا إخوة الإسلام:

«قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ».

مـن المخاطب بهذه الآية يا معشـر العلماء؟ وهل هي موجهه إلينا نحن المسلمين. كل المسلمين؟

وهـل نفذتموهـا مع حـكام بلادكـم؟ أم تتعايشـون معهم. ولا تظهرون لهم العداوة والبغضاء؟

وهل الحكام يحكمون بكتاب الله وسنة نبيه؟
وإذا كانـوا لا يحكمـون بكتـاب الله وسـنة نبيـه. وإذا كانوا لايتخـذون من كتاب الله دسـتوراً لهم فـي حياتهم الخاصة والعامة. وفي القانون الذي يحكمون به البلاد فهل هم كفرة أم لا؟

أفتونا بعلم يا علماء الإسلام.

وإذا كان الحكام كفرة ظالمين وفاسقين. فما الفرق بينهم وبين اليهود؟ وإذا كانوا كاليهـود فهل نعاملهم ونتعايش معهم فيمـا إذا احتلـوا بلادنـا وحكمونـا؟ وكيف نفعـل وما يكون موقفنا إذا احتل بلادنا يهود؟ وهل هناك فرق بين طاغوت عربي وطاغوت يهودي إسرائيلي؟ وهل يتوجب علينا قتالهم؟

وإذا كان علينـا قتالهم فهل نعد العدة لقتال الكفار ثم نبدأ القتـال. أم نقاتلهـم من دون إعـداد؟ أم نقول: ليسـت لدينا إمكانيات القتال ولذلك لا يوجب علينا؟
وما هو حكم القتال لأعداء الله ولإقامة دولة الإسلام. إذا كان أعـداء الله هم الكفـرة الحاكمون؟ هل هو حـرام أم مباح أم مستحب أم سنة أم فرض؟
وإذا كان القتـال فرضا فهو فـرض عين أم فرض كفاية؟ ومتى وبأي سن يكلف المسلم بالقتال؟
ومـا حكم من يقاتل الكفار بمفـرده لإعلاء كلمة الله هل هو في الجنة أم هو في النار؟
وما حكم من لاينوي قتال الكفار وإقامة دولة الإسـلام وإعلاء كلمة الله؟ وما حكم من لايعمل لذلك؟

وما نسـمي من يقول: الإسـلام ديني. ولا يعمـل بكتاب الله أو ينقص منه؟

هل تؤمنون بالقرآن والسنة جملة وتفصيلا؟

هل يتوجب عليكم العمل بجميع مافي القرآن والسنة. ما عدا الخصوصيات أم أن القرآن نزل على محمد صلى الله عليه وسلم. وهو خاص به وبأصحابه؟

والآيات التي لا تسـتطيعون العمـل بها - كآيات الحدود لعدم وجود الحاكم المسلم والدولة الإسلامية - هل يتوجب عليكم أن تعملوا بكل الوسـائل المطلوبة والمشروعة لكي تتمكنوا من تطبيقها في المستقبل. وذلك بالعمل على إزالة الطغيان وتحكيم الإسلام. أم أنتم في حِل-من العمل بها على الإطلاق؟

وهل تعملون على إقامة حكم الإسلام لتتمكنوا من تطبيق وتنفيـذ أوامـر الله. أم تهملـون ذلك ولا تتحملـون - نتيجة إهمالكم - أية مسؤولية بين يدي الله تعالى؟

وهل يمكننا والحكام قد ركبوا رؤوسـهم. ورفضوا أن يحكموا بدسـتور القرآن. وزجوا من يطالبهم بذلك في السجون. هل يمكننا إقامة حكم الإسـلام ودولة الإسلام وإعلاء كلمته. دون اللجوء إلى القتال؟

وهل نحن مطالبون بإعداد القوة على قدر استطاعتنا لنواجه الكفار؟ وما معنى قول الله عز وجل:
«وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ(٥٩) وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ» ؟

وهل يجوز لمسلم أن يعتقد أن الكفار قد سبقوا، وأننا لاطاقة لنا بهم؟ أم هذا كان ظن الكافرين أنفسهم؟

أوليست هي المعركة بين جبار السماوات والأرض وبين الكفار؟! والله يدلنا على الطريق - طريق الإعداد - للوصول إلى رضوان الله تعالى وإرهاب أعداء الله تعالى؟

ما حكم القتال إذا سيطر الكفار على بلد أنتم فيه؟ وهل يخرج الابن للقتال بدون إذن أبيه، والمرأة بدون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه، والعبد بلا إذن السيد كما يقول الفقهاء؟ أم أن هذا الحكم قد تغير في زماننا؟!

وما معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق - أو مات ميتة جاهلية -)) ؟ وما مدى صحة هذا الحديث، وما معناه؟ وإن كان صحيحا فهل ينطبق علينا، وهل نحن مطالبون بالعمل بمقتضاه؟

وهل نغزو في سبيل الله، ونترك الكفار يحكمون بلادنا؟

هل يتوجب علينا قتال الكفار الحاكمين أولا، أم قتال الغزاة الكفار الذين احتلوا بلداً من بلدان الإسلام البعيدة؟ وأيهما أولى؟

ما حكم كل منهما يا معشر العلماء؟

وإذا كنا نريد الغزو والقتال وجهاد أعداء الله صادقين، أوليس من واجبنا إعداد القوة لذلك؟ والله يقول: «وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ».

وماذا نحكم على من لم يعد العدة للقتال وهو يملك أسبابها؟

هل نحن المسلمون عامة والعلماء، والجماعلت الإسلامية خاصة، نعيش في بحبوحة من العيش في ظل نظام إسلامي؟ أم أننا نسام الخسف، من عيش الذل؟

هل الموت في طاعة الله خير، أم الحياة في ظلمهم وكفرهم وآثامهم والخوف منهم وعدم الإستعداد لقتالهم؟ هل الحياة بهذا الشكل حياة في طاعة الله أم معصيته؟

ماذا يقول العلماء المسؤولون عن الجماعات الإسلامية؟

وما معنى قول الله عز وجل: «مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ(١٥) أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ» ؟ وإذا كان هذا هو الطريق إلى النار فما هو الطريق إلى الجنة؟ «أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ» . «أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ».

وهل الجهاد الذي يأمرنا به الله سبحانه بقوله: «وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ» هو جهاد القلب واللسان فحسب، أم قتال التضحية والبذل؟ ماذا تقولون يا معشر العلماء؟

وهل يشتري الله من المؤمنين - كل المؤمنين - أنفسهم وأموالهم، أم ألسنتهم؟
وهل يسمى مؤمناً من رفض أن يبيع نفسه وماله لله؟

وما شرط هذه البيعة مع الله، أليس «يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ» ؟ فهل ترونه قال: يخطبون ويدرسون ويتفلسفون ويصارعون فكريا، أو يستسلمون لسجن أعداء الله، وتعذيبهم دونما اعتراض أو مقاومة؟

وما معنى قوله تعالى: «أَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ» ؟ هل معنى هذا أن ينصر الله رسله بحمل السلاح لإعلاء كلمة الله والذود عن دينه وشريعته، وإقامة دولة الله في الأرض؟ أم معناه أن نستسلم لأعداء الله يقتلون ويهتكون الأعراض - أعراض المسلمات ويجبرونهن على الزواج من المشركين - دون أن نحرك ساكنا؟

أفتونا أيها العلماء.

وإذا كان لايقاتل في سبيل الله إلا المؤمنون الصادقون الذين مروا بمراحل التربية والسلوك، فمتى تنتهي مرحلة التربية هذه، يا من تقودون الجماعات الإسلامية؟
وما هو المقياس لتقدير أهلية المسلم لأن يكون مقاتلا، أو أنه غير أهل؟ أو أن الجماعة وأهل الطريق اهل للقتال أم لا؟

والله تعالى يقول: «إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ»، وأنتم ترغبون بالجنة.

ما الفرق أيها العلماء بين قول الله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ» وبين قول الله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ»؟
وما معنى «كتب» في الأولى و «كتب» في الثانية؟

وإذا كان معنى «كتب» : فرض، فبالتالي كان القتال فرضا على المسلمين، كما هو حال الصيام، ولكن إذا كان موعد الصيام رمضان، فمتى موعد القتال؟ أفتونا يا معشر الفقهاء.

فبأي حجة أيها المسلمون تعفون أنفسكم من القتال؟

وهل لكم يا أيها المسؤولون في الجماعات الإسلامية، والطرق الصوفية، أن تعفوا أنفسكم من القتال بحجة من الحجج الآتية:

- عدم الإستعداد: ومايمنعكم من الإستعداد، والله يأمركم به ولم يكلفكم فوق طاقتكم حين قال: «وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ»؟

- الحذر والخوف من انكشاف أمر الإستعداد للسلطة الكافرة الحاكمة:

«أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ». «فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ». «فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ(٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ». أتتركون أمر الله بالإستعداد خشية الكفار، وتخافون العبيد الذين لايملكون لأنفسهم ضرا ولانفعا؟ وترك الإستعداد معصية.

- أو **تعتقدون أنكم لستم أهلا للقتال**، أو مواجهة أعداء الله:

وأنتم تزعمون أنكم من حزب الله، وترضون بالذل؟! فكأنكم تنسبون الذل لله عز وجل الذي تنتسبون إليه «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ».

- أو **فقدان التربية الإيمانية** عند أفراد الجماعات الإسلامية أو أهل الطريقة أو نقصانها:

فهل تربية الكفار أقوى من تربيتكم لإخوانكم، ومريديكم؟ حتى أننا نجد أهل الكفر يندفعون للقتال، وأنتم وإخوانكم ومريديكم لا تندفعون! فما هي غايتهم؟ وماهي غايتكم؟ وما هو طريقكم؟ وما هو طريقهم؟ ومن هو ناصركم؟، ومن هو ناصيرهم؟

«ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ».

وإن التربية الإيمانية لا تأتي إلا لمن يأخذون الإسلام كاملاً، ولا يتخلون عن فريضة الجهاد.

- أو **بحجة الحفاظ على الدعوة والتنظيم** ومصلحتيهما:

إذا كان الحفاظ على التنظيم هو الذي يمنعكم من القتال فما هي مهمة التنظيم؟!

إن تنظيمات الأحزاب والجماعات كلها تقوم على العمل للسيطرة على نظام الحكم في البلاد التي يقطنونها لكي يحكموا بمبادئهم ويحققوا أهدافهم مهما كانت تلك المبادئ والأهداف، وأما أنتم فتتركون القتال، وتعصون الله بترككم للقتال، وتخاذلكم عن نصرة دين الله، والله هو الذي علمنا أن طريق القتال هو الطريق الوحيد للنصر والغلبة وتحقيق المبادئ والأهداف، والله تعالى يقول: «قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ».

فهل جعلتم مصلحة التنظيم وثناً يعبد من دون الله؟!

وأما الدعوة فهي دعوة الله وقد تكفل بحفظها «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ». وما عليكم إلا أن تسيروا في طريق الدعوة والقتال لتنجوا من عذاب الله تعالى «وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ». «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ».

- أو إخفاق الثورات، كفشل ثورة الأكراد:

ما بالكم تضربون المثل بالثورات المخفقة الفاشلة لتبرروا قعودكم عن فريضة الجهاد، فإذا لم يكن في القتال إلا الموت أو القتل في سبيل الله، فهل الموت على الفراش أفضل؟ وأنتم تعلمون أن الموت والأجل بيد الله، ومن لايعتقد بهذا فهو كافر ببعض كتاب الله، ومن يكفر بشيء من القرآن فهو كافر، فاسمعوا إن شئتم :

«وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً». «فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ».

ثم اسمعوا إن شئتم «وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ». فهل تجدون في كتاب الله عز وجل مثلا يثبط المؤمنين عن القتال؟ أم أن الله سبحانه يقول: «كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ». ففي القتال ينال ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

ثم لا تنسوا أن الأكراد اعتمدوا في ثورتهم على ايران، واتخذوها سنداً لهم، فلما تخلت عنهم ايران، وتخلى عنهم سندهم فقدوا الثقة بالنصر وبأنفسهم، فهزمت ثورتهم، وأما نحن المؤمنين فإننا نتوكل ونعتمد على الله وهو ناصرنا و ولينا «وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ». «وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيراً». «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ». «إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ».

ثم اسمعوا إن شئتم «قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ».

فمن تبشرون بالنصر ومن تبشرون بالخذلان يا معشر المسلمين؟

- أو **عدم وجود النصير** الذي يمد بالذخيرة والسلاح:

إن الله كلفنا أن نعد ما استطاعتنا، وبعد ذلك نتوكل على الله، واسمعوا إن شئتم قوله تعالى:

«وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً». هذا من جهة، ومن جهة أخرى: ننتزع السلاح من أيدي أعدائنا بإذن الله.

- أو **عدم الثقة بإخوانكم المسلمين** أو عدم التعاون معهم:

والله تعالى يقول: «وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى». فإن بالإمكان أن يتعاون المسلمون على أكبر خير وهو قتال أعداء الله، وإقامة حكم الإسلام، ثم تتولد الثقة بطريق القتال.
ويعرف المخلصون من خلال المحن «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ». ومما يؤدي إلى الثقة والمحبة بين المسلمين أن يتذكر كل منا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: ((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس))، وقوله أيضا: ((كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون))، وعلى هذا يحاسب كل منا نفسه حساباً عسيراً، ويعتبر كل أخ من إخوانه معرضاً للخطأ بطبيعته، ولهذا يتوجب أن ينصحه ويتواصى معه بالحق والصبر ويتسامح معه بنية إصلاحه ولا يتكبر عليه.

وما أجمل صفات المؤمنين من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان في كل زمان ومكان، اسمعوا: «مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ». شغلتهم أخراهم عن التفكير في سفاسف الأمور، وتسقط عورات الناس وعيوبهم، وقد فهموا قول الله تعالى: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

إن الله قد كلفكم بالقتال، وتحريض إخوانكم المؤمنين، وإن لم يستجب لكم أحد فعليكم أنفسكم «لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ»، «فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ».

فهل تعفون أنفسكم من القتال بحجة عدم الإستعداد، والحذر والخوف من اكتشاف الأمر، أو فقدان التربية الإيمانية، والحفاظ على الدعوة ومصلحتها، وإخفاق الثورات الجاهلية وعدم وجود النصير الذي يمدنا بالذخيرة والسلاح، وعدم الثقة بإخوانكم؟.
فإن الله تعالى لم يُعفِ من القتال إلا الأعرج والأعمى والمريض.

فما رأيكم يا قادة المسلمين ويا علمائهم؟

والسؤال يا معشر الفقهاء هو:

أيُعفى من القتال الفقير الذي لايملك العدة، أم عليه أن يقف إلى جانب المقاتلين إذا كان القتال فرض عين؟ وهل يتوجب على الأغنياء أن يسلّحوا الفقراء في حالة الإعداد للقتال؟ وهل يجوز للمسلمين أن يمنعوا سهماً في سبيل الله من أموال الزكاة إن وُجد من يطالب به ليتجهز للقتال في سبيل الله؟ وهل يغني عن الأغنياء أن يدفعوا زكاة أموالهم، هل ينجيهم ذلك عند الله إذا لم يقاتلوا بأنفسهم، وهم من غير أصحاب الأعذار المذكورين؟

وما معنى قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ»؟ ألا يوحي هذا بأن العذاب واقع - أو سيقع - إن لم تجاهدوا؟ وأن النجاة من العذاب بالجهاد؟



وإذا كان السلاح في أيامنا لا يستطيع استعماله في القتال إلا المتدربون، فهل يكون التدريب فرضاً إذا كان القتال فرضا؟
ثم ما المقصود من قوله تعالى: «إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»؟ ثم اليس من الأفضل لهؤلاء الأغنياء الذين رضوا أن يكونوا مع الخوالف بقعودهم عن القتال ألا يتفلسفوا وألا يتحذلقوا ويتظاهروا بالفهم ويأتوا بالحجج الإبليسية ليثبطوا همم المجاهدين وهم لايعلمون؟ إنهم لا يعلمون بصريح الآية، فليحذر المؤمنون أن يسمعوا لأقاويلهم ولو كانوا من الكبار.

ومن هم الذين: «سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ»؟ أليسوا هم القاعدين عن الجهاد، الراكنين إلى الحياة الدنيا المتخاذلين عن نصرة دين الله، الذين يقول الله فيهم ((إنهم رجس)، إنهم نجس، أنهم كالجيفة النتنة بين الأحياء، (ومأواهم جهنم)، لأنهم رضوا بالذل والهوان في الدنيا.

وإذا كان رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقبل أن يخرج معه للقتال من كان في سن الخامسة عشرة، فبأي سن من العمر كان يعفيهم من القتال؟ - علما أن القتال كان بالسلاح الأبيض، وهو من أشق، وأصعب أنواع القتال - هل كان يعفي من القتال من بلغ الأربعين عاما؟ أم الخمسين؟ أم الستين؟ أم السبعين؟ وكم كان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر غزوة غزاها؟ ألم يكن فوق الستين عاما؟ وكم كان عمره صلى الله عليه وسلم وهو يقول في غزوة حنين، في معترك القتال، وقد تراجع عنه أصحابه:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب

صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله.



ما هي صفة مرحله تأسيس دولة الإسلام الأولى ؟

هذا ولقد كانت حياة الصحابة الكرام في الدولة النبوية حياة خوف ووجل و ترقب و حذر دائم و خاصة في مرحلة تأسيسها الأولى و أيام المحن . ففي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال : "كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أحسن الناس وأجود الناس و أشجع الناس . قال : و لقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتا . قال : فتلقاهم النبي صلى الله عليه و سلم على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ و هو متقلد سيفه فقال : " لم تُراعوا . لم تراعوا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "و جدت بحرا " يعني الفرس". فدل استنفار الناس لأجل الصوت أنهم كانوا يفزعون و يستنفرون لأدنى خطر و لو كان احتمالياً كصوت صخرة و قعت من قمة جبل وهو ما يشابه اليوم أصوات الانفجارات التي يحدثها العدو -أبعده الله-.

وسؤال إليك أيها القائد:

بأي حجة تعفي نفسك من القتال، وترغب عن مواقف وقفها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقارعة الكفر والمشركين، والله يقول: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً»؟

هل معنى أن يتعمم أحدنا، ويطلق لحيته، ويتعلم، ويتفقه في الدين، أن يُعفي نفسه من القتال بحجة حفظ العلم وتفقيه الناس في دينهم؟! أم أن واجبه أن يقود الناس في المعارك، ويحرّض المؤمنين، أسوة برسول الله سيد العلماء والفقهاء والمجاهدين؟

وبأي وجه تلقون الله تعالى، وتقابلون رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا سُئلتم يوم القيامة عن قعودكم عن قتال الكفار وركونكم إلى الظالمين؟ هل تقولون إننا كنا ضعفاء، أو كنا لانجد النصير؟ فها نحن ندعوكم للتعاون معنا على قتال أعداء الله، ونحن الأقوى **بالله**، فلا تسول لكم أنفسكم بأنكم معذورون، بل حَكِّموا كتاب الله بينكم، وبين أنفسكم.

وماذا يملك أعداء الله أن يفعلوا معكم إن كنتم مع الله؟ هل يستطيعون تقديم آجالكم؟ هل يستطيعون قطع أرزاقكم؟ هل يصيبكم إلا ما كتب الله لكم؟

وبأي حال تجدون أجر الله ومثوبته ورضوانه، بإغاظة الكفار ومحاربتهم، أم برضاهم عنكم والذلة لهم؟

«فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ»، إن الخسارة ليست خسارة المال، وليست خسارة الوظيفة، وليست خسارة الدنيا بأكملها، إنما الخسارة أن تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة، «إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥) لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ».

إن أخشى ما أخشاه عليكم: إذا بدأ عباد الله بقتال أعداء الله، أن تقفوا موقف المتفرج ولا تقاتلوا فتكون النتيجة أن يسحقكم أعداء الله وأنتم في بيوتكم، ثم تذهبون بعدها إلى النار، وغضب الجبار، لأن الله أمركم بالقتال فلم تستجيبوا، وأسلمتم إخوانكم المجاهدين لأعداء الله يقاتلونهم، وأنتم قاعدون.

والله سبحانه اشترى منكم أنفسكم وأموالكم مقابل الجنة، والشرط في هذه البيعة أن تقاتلوا فتَقتلوا وتُقتلوا، لا أن تتقاعسوا وتستسلموا للقتل كالنعاج.

أما إن كنتم من المستضعفين الذين ذكرهم الله، فمن واجبكم أن تنصروا المقاتلين بعواطفكم، وتشجيعكم، ودعواتكم، وبأموالكم إن كنتم من أهل المال، لا أن تثبطوهم عن القتال.

أما إذا بدأ القتال وأنتم لم تستعدوا لابالسلاح ولا بالتدريب، فهل أنتم معذورون عند الله؟ ألم تقرؤوا في كتاب الله «وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ»؟ فهل أنتم معذورون، أو تقبل حجتكم عند الله، أم أنكم لاتصغون لهذه الآية؟ وكأنها لاتعنيكم، ولعلكم كنتم تقرؤونها في صلاتكم، ولعلكم كنتم تفيض لها دموعكم دون أن تشعروا أنكم مطالبون بالعمل بها !

وما معنى قوله تعالى، يا معشر العلماء:
«وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً»؟
وبعد أن تفهموا لنا معناها، تذكروا معنى الآيات:
«وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ».

فهـل تظنون يا معشـر العلماء، ويا قادة الفكـر والجماعات، ويا أهل التربية والسلوك، أن القعود عن الجهاد وقتال أعداء الله، ذنب صغير؟ اسـمعوا إن شـئتم «فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُـمْ فَاسْـتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُـواْ مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِـين»، «وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُـم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ». فلنتب إلـى الله جميعا مـن ذنوبنـا وتقصيرنا وقعودنا عـن الجهاد، «وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ». ولنبدأ بالإسـتعداد للقتال، وبـأس الكفار واقع بنـا لامحالة، وليس أمامنا إلا أن يبدأ كل منا القتال ويحرّض المؤمنين، وهل من طريق إلا أن يكلف المؤمن نفسه، ويحرض إخوانه والله تعالى يقول: «فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ».

وهـل هناك مجـال للإختلاف علـى الجهاد وقتـال أعداء الله، والآيات بينات واضحات؟ وماهي نتيجة الخلافات بعد أن جاءتنا البينات؟

اسـمعوا إن شـئتم قول الله تعالى، وهو يحذركم أن تكونوا كالذين «تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُـمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْـوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ(١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

إننا ندعوكم معنا للقتال، لإعلاء كلمة الله، وإقامة دولته في الأرض، وامتثـال أمر الله تعالى «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه».
وسـوف نبدأ القتال من حيث أمرنـا الله أن نبدأ «قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً».

فمن كان يخشى على رأسه، فليخرج من البلاد إن كان الخروج منجيه، «أَلَـمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ سَـمِيعٌ عَلِيمٌ». وأنى للفرار أن يُنجي من الموت أو القتل، «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ». وأنى للقعـود أن ينجي من القتل «قُل لَّوْ كُنتُـمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ».

وكونـوا على حذر مـن أن تتولوا، وتقولوا مـا يقوله الكافرون «يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُـواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ».

فالله... الله يا معشر العلماء والقادة والمربين:
بينوا حكم القتال لإخوانكم، وأعدوا أنفسـكم، ومن معكم للقتـال - قتـال أعداء الله الكفـرة الحاكمـين - وليكن بيننا التعاون والتشاور لنقاتل في سبيل الله صفاً واحداً، وبآن واحد

ولنتـرك الخلاف جانباً، لنتق الله فإن في الخلاف معصية الله تعالى، والذل والهوان في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة.

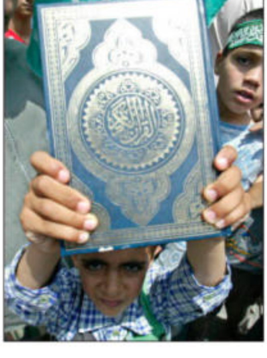
وإن من صفات حزب الله:
«يُحِبُّهُـمْ وَيُحِبُّونَـهُ أَذِلَّةٍ عَلَـى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَـى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِم».
وإن الله يقول على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم سـيد المجاهدين: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ».

وإنا على طريق رسـول الله صلى الله عليه وسـلم سـائرون نفدي إخواننا - كل المسـلمين من أقصى الأرض إلى أقصاها - نفديهـم بدمائنـا وأرواحنا في سـبيل الله، نتقـرب بحبهم والذلـة لهم والرحمة بهـم إلى الله تعالـى، ونعلن العداوة والبغضاء، والحرب على الكفار وأعوانهم، ولا نسـلم أنفسنا أو إخواننـا لأعداء الله، ولا نعطي الدنية فـي ديننا لأن قائدنا صلى الله عليه وسـلم يقول: ((من أعطى الذلة من نفسـه غير مكره فليس مني))، وليشـعر كل منكم في قرارة نفسه أنه الأعلى والأعز بالله عز وجل:
«وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ».

فيا أيها المسلمون:

اسـتعدوا لقتال أعـداء الله فرادى وجماعات، فقـد آن لنا أن نخلـع عنا ثوب الذل، ونعيش في الدنيـا كراماً في ظل نظام الإسـلام، أو نلقى الله شـهداء وهـو راض عنـا، وإنها لإحدى الحسنيين نصر أو شهادة.

اللهم هل بلغت... اللهم فاشهد... والله أكبر...
لله العزة ولرسوله وللمؤمنين
ولكن المنافقين لا يعلمون.



يا حكامنا ..
سئمنا ظلمكم

نريد تطبيق الشريعة

خبر وتعليق

التآمر القطري ضد المجاهدين

هذه المرة بريشة القرضاوي

من بين كل بيانات التأييد المختلفة التي نشرت بعد تعيين شيخ شريف «رئيساً منتخباً للصومال» ، كان بيان يوسف القرضاوي (رئيس اتحاد علماء المسلمين) أغربها جميعاً لما حواه من إشارات على توجه له ولاتحاده (الذي يحاول تنصيب نفسه متحدثاً عن المسلمين) في سبيل التدخل في الصومال لمصلحة ش.شريف المقبول أمريكياً .

فقد عرف القرضاوي ش.شريف بأنه الرئيس المنتخب، وهو الاسم الذي يطلقه أكثر عملاء أمريكا على أنفسهم . فكرزاي هو الرئيس المنتخب لأفغانستان ، و المالكي هو رئيس الحكومة المنتخب في العراق ، وعباس هو الرئيس المنتخب للسلطة الفلسطينية ، ولا يهم طبعاً أن يذكر الناس طرق انتخابهم.

واليوم يزكي القرضاوي «شريف» بأنه انضم ايضاً لقائمة «الرؤساء المنتخبين» السالفة الذكر .

وبعد ذلك طالب جميع الصوماليين بالوقوف خلف الرئيس «المنتخب» ، وخاصة شباب المجاهدين .

ثم طرح القرضاوي عرضه الغريب والذي يستحق الوقوف عنده طويلاً لما فيه من إشارات هامة فقد عرض ما يلي :

«وبهذه المناسبة فإن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يعبر عن استعداده لرعاية أي حوار أخوي وجدّي بين الشيخ شريف والفصائل المعارضة في أقرب وقت ممكن، وفي أي مكان يختارونه، واستعداده لإرسال وفد رفيع المستوى من المكتب التنفيذي ومجلس الأمناء للقيام بهذا الواجب» .

فمنذ متى كانت الهيئات «الإسلامية» ترعى الحوارات، ويسمح لها بالتدخل في الشؤون الدولية ؟

ومنذ متى يسمح لهم بكل هذه الحرية التي يدل عليها عرض القرضاوي «في أقرب وقت ممكن، وفي أي مكان يختارونه، واستعداده لإرسال وفد رفيع المستوى من المكتب التنفيذي ومجلس الأمناء للقيام بهذا الواجب» ؟

لقد سمح للهيئات الإسلامية و المشايخ والجمعيات الخيرية بالتحرك في كثير من القضايا ولكن كانت كل تلك التحركات مضبوطة من قبل مخابرات آل سعود و غيرهم من عملاء أمريكا ، كما كانت دائماً في سبيل دعم شخصيات مرغوبة أمريكياً ، و دعم أطراف مشبوهة في سبيل إفشال المشاريع الإسلامية الحقيقية .

ففي أفغانستان تحركت الجمعيات الخيرية و المنظمات الإسلامية كثيراً ، ولكن ضمن الإطار المرسوم فكانت كل أموال التبرعات من الدول الإسلامية يتم توجيهها إلى جيب سياف الذي تم تسويقه من قبل تلك الهيئات والجمعيات على أنه شيخ المجاهدين ، في الوقت الذي كان فيه الكثير من قادة الجهاد الحقيقيين يطوفون كل دول الخليج دون أن يحصلوا على ريال واحد فقد كانت التوجيهات بحصر التبرعات لسياف وحده .

وكذا حدث في العراق عندما تدخل أشخاص معروفون وجمعيات خيرية وهيئات إسلامية في كل من قطر والسعودية لدعم الجهاد زعموا ، ولكن تبين الأمر المبيت فيما بعد ، وأن كل تلك الجهود كان لها هدف واحد وهو دعم الأطراف المشبوهة في سبيل تدمير العمل الجهادي في العراق و هزيمة دولة العراق الإسلامية .

أفلا يحق لنا بعد هذا أن نتساءل عن السبب الذي يجعل القرضاوي يتكلم ويبدي استعداداته وكأنه يملك زمام نفسه أو أن اتحاده الكرتوني هيئة مستقلة تملك حرية التصرف وحل النزاعات الدولية دون إذن بل وتوجيه أجهزة المخابرات المختلفة .

فهل ستشهد الأيام القريبة القادمة مباحثات في قطر بين شريف ومعارضيه - برعاية القرضاوي - تنتهي باتفاقهم وعزل الشباب المجاهدين ، مما يمهد الأمر لشن حرب عالمية ضدهم .

وهل سيعي أهل الصومال دروس العراق ، ويفهموا أن هدف الصليبيين تقسيم المسلمين فلا يمكن أن يسعوا لوحدتهم إلا لهدف آخر يحقق مصالحهم؟.



مجاهدون من حركة الشباب المجاهدين (نصرهم الله)



تأملات في المنهج

تحريرِ ضابطِ ما يوجِبُ الافتراقَ مِن الخلاف

معتز بالله حامد

هــذه تتمةٌ لآخر مســألةٍ في المقالةِ الماضيــةِ . وهي في تحرير ضابطِ ما يوجِبُ الافتراقَ مِن الخلافِ . فأقول : وهذا الافتراقُ له متعلَّقان:

الأولُ: الحكُـم على المقالةِ بأنَّها بدعةٌ ومفارقةٌ لسـّنةِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - ومخالفةٌ لهدي السَّابقينَ . وتقدَّمَ بيانُ أنَّ ضابـطَ القطعِ بهذا مخالفتُهـا للإجماعِ القطعيِّ . ولا يُشـترطُ للقطعِ بصحةِ الإجماعِ المنقولِ ما اشـترطَه له المتكلِّمون ؛ فإنَّ هذا لا يكادُ يوجَدُ . بل يَكتسِبُ الإجماعُ القطعَ بمـا يحتفُّ بـه مِن قرائنَ . ومِــن أقواها توارُد أئمــةُ الدِّين على حكايتِه (اشــتهارُه) . وعدمُ ظهورِ مخالفٍ مِنهم . وإطباقُهم على التشنيعِ على المخالفِ فيها . وذكرُهم للمسألةِ في كتبِ أصولِ الدِّينِ . فهذا هو ما يُلحَقُ بمسائلِ أصولِ الدِّين[1].

ويُنبَّه هنا إلى مســألةٍ هامَّةٍ . هي أنَّ تعليقَ الابتداعِ بمخالفةِ الإجمــاعِ المنضبــطِ المتــوارَدِ عليه ليــسَ مِن إهمــالِ الكتابِ والسُّــنَّةِ؛ فإنَّ ما خالفَ الإجماعَ القطعــيَّ مخالفٌ - ولا بُدَّ - للكتابِ والسُّــنَّةِ ؛ إذ لا يُجمِعُ المؤمنــون على أصلٍ مِن أصولِ دينِهــم مِن غيرِ وحيٍ . فالكتابُ والســنةُ ضِمــنٌ في الإجماعِ ومستَندٌ له . قال ابنُ تيميةَ - رحمه الله - :

(فــإنَّ مــا دلَّ عليه الإجماعُ فقــد دلَّ عليه الكتابُ والســنةُ . ومــا دلَّ عليــه القرآنُ فعن الرســولِ أُخِذَ ؛ فالكتابُ والســنةُ كِلاهما مأخوذٌ عنه. ولا يوجد مســألةٌ يتفــقُ الإجماعُ عليها إلا وفيها نصٌّ)[2]. وإنَّما المســتفادُ مِن الإجماعِ القطعُ بمخالفةِ مخالفِه للكتابِ والسُّنَّةِ ؛ لئلا يُبَدَّع بما هو مِن مواردِ الاجتهادِ. أو بمـا اختلفَ فيه السَّــلفُ - وإن كان فيه سُــنَّةٌ ثابتةٌ بدليلِ الشَّرعِ - لمعارضٍ عَرَضَ لبعضِهم ؛ فليس هذا مِن أصولِ الدِّينِ الــذي يُبدَّعُ مخالفُه وإن جازَ كونُــه بدعةً في نفسِ الأمرِ . فإنَّ التَّأويــلَ في هذا مِن تأويلِ الفقهاءِ فــي اجتهاداتِهم . وتقدَّمَ أنَّ هــذا بين أن يكونَ ممَّا يســوغُ الاجتهادُ فيه . أو ممَّا يُنكَرُ على صاحبِه . وليس مِمَّا يُبدَّع به[3] .

المتعلَّق الثاني: الحكمُ على صاحبِ المقالةِ بالابتداعِ . والوصفُ بالابتــداعِ قد يأتي مقيَّدًا بالمقالةِ أو العملِ الذي ابتَدعه . كأن يقالُ: هو مبتدعٌ في مسألةِ الإيمانِ أو مبتدعٌ في القدرِ ونحو ذلك. مِــن دون إطــلاقِ الوصــفِ أو ترتيــبِ الحُكمِ . فلا إشــكالَ فيه وليس هو المــرادُ هنا . وإنَّما المرادُ هنا الحكمُ المطلقُ الذي تترتَّب عليــه أحكامُ التبديعِ . ويُســمَّى به صاحبُــه مبتدعًا بإطلاقٍ ويُخــرَجُ مِن جملةِ أهلِ السُّــنَّةِ والجماعةِ . فهــذا له ضوابطُ بعضُهــا متعلِّــقٌ بالمقالةِ نفسِــها . وبعضُهــا متعلِّقٌ بحالِ صاحبِها. والمأخذُ الجامعُ لهذه الضوابطِ أن يكونَ الغالبَ على حــالِ المــرءِ الابتداعُ . ويحصلَ بســببِ بدعتِه الفُرقــةُ . وهدمُ الدِّينِ[4]. وهذا يتفاوتُ بحســبِ نوعِ البدعةِ . ودرجتِها . ومرتبةِ صاحبِها. وحرصِه على تحقيقِ السُّنَّةِ . وظهورِ تأويلِه . ومكانةِ هــذه المقالــةِ البدعيةِ عنــدَه . ونحو ذلك ممَّا اعتبرَه السَّــلفُ - رحمهم الله - والمحقِّقون من العلماءِ لتبديعِ الأعيانِ .

ومِــن أوجهِ غلبــةِ البدعــةِ علــى صاحبِهــا أن تكــونَ كُلِّيَّةً مخالفةً لقواعدِ الشَّــريعةِ في بابِها ؛ فتؤدِّي إلى الابتداعِ في كثيــرٍ من الفروعِ المبنيةِ على تلك القاعدةِ . قال الشَّــاطبيُّ : (وذلك أنَّ هذه الفِــرقَ إنَّما تصيرُ فِرَقًا بخلافِها للفرقةِ الناجيةِ فــي معنى كلــيٍّ في الديــنِ وقاعدةٍ مِــن قواعدِ الشَّــريعةِ . لا فــي جزئيٍّ مِــن الجزئيات ؛ إذ الجزئيُّ والفرعُ الشــاذُّ لا ينشــأُ عنه مخالفةٌ يقع بســببِها التفرقُ شِيَعًا . وإنما ينشأ التفرُّق عِنــدَ وقوعِ المخالفــةِ في الأمورِ الكليــةِ . لأنَّ الكلياتِ تقتضي عــددًا من الجزئياتِ غيرَ قليلٍ)[5] . وذلك كاشــتراطِ روايةِ الجمعِ المتنــعِ عادةً تواطؤهم على الكذبِ عن جمعِ مثلِهم في كلِّ طبقــةٍ رَوَتِ الحديثَ[6] ليُؤخَذَ به فــي العقائدِ[7] ؛ فإنَّ هذا يُبنى عليــه ردُّ ما ثبتَ بأحاديثَ تأخَّرَت عن ذلك الشَّــرطِ رُتبةً . وقد ردَّ المعتزلــةُ بذلك كثيرًا من الأحاديــثِ الصحيحةِ . كأحاديثِ الرؤيةِ والشــفاعةِ والحوضِ . وردَّ الأشــاعرةُ أحاديثَ النزولِ وأنَّ الله يضعُ قدمَه على النَّارِ وغيرَ ذلك . فترتَّب على هذه القواعدِ الكليةِ بِدَعٌ جزئيةٌ كثيرةٌ في أبوابٍ متفرقةٍ مِن الدِّينِ . وأخصُّ

---

١ - فالإجماعُ القطعيُّ - على هذا الإصطلاحِ - أعمُّ مِن المعلومِ مِن الدِّينِ بالضَّرورةِ؛ فيدخلُ فيما يخالفُه مقالاتٌ ليست بكفرٍ. كمقالةِ المفضِّلةِ والمرجئةِ ومؤوِّلةِ بعضِ الصِّفاتِ .

٢ - مجموع الفتاوى ١٩١/١٩

٣ - فالــكلامُ هنا ليس عــن مطلقِ تبديعِ المقــالاتِ والأعمالِ ؛ فإنَّ كلَّ ما خالفَ سُــنَّةً مخالفةً ظاهــرةً ولــم يكن محلَّ اجتهادٍ سُــمِّيَ بدعةً . وهذا بابٌ واسعٌ . يدخلُ فيه الأصــولُ والفروعُ . والأقوالُ والأعمالُ . وإنَّما الكلامُ فيما يوجِبُ تبديعَ صاحبِه وإخراجَه مِن جملةِ أهلِ السُّــنةِ . وهو البدعةُ في أصولِ الدِّينِ .

٤ - وهذا مأخوذٌ مِن مَعنَى الجماعةِ وضدُّه معنى الافتراقِ .

٥ - الاعتصام ٧١٢/٢

٦ - تحــرَّز الكاتبُ من القولِ بأنَّ اشــتراطَ تواتُرِ الحديث ليؤخذ به فــي العقائد بدعةٌ ؛ لأنَّ مِن أهل العلم مَن يسمِّي الحديثَ إذا احتفَّت به القرائنُ متواترًا وإن لم يتحقَّق فيه ذلك الشَّرطُ البِدعيُّ لحدِّ المتواترِ . فيأخذُ في بابِ الاعتقادِ بما يسمِّيه المتكلمون آحادًا ويسمِّيه هو متواترًا .

٧ - العقائدُ عند متكلمي الأشــاعرة عقليــاتٌ إنما تثبتُ بالعقلِ وحــدَه . كربوبيةِ اللهِ وصفاتِه والنُّبواتِ. وســمعيَّاتٌ تثبتُ بالكتابِ والســنةِ المتواترةِ - حسب شــرطِهم للتواترِ - دون السُّــنةِ الآحاديةِ . كعذابِ القبرِ والصِّراطِ والحوضِ والشَّفاعةِ ونحو ذلك .

مِـن الابتداع فــي قاعدةٍ كليــةٍ أن يكون الابتــداعُ في المنهج الاستدلاليِّ كلِّه . فهو متضمِّنٌ لمجموعةٍ مِن القواعدِ البدعيةِ الكليةِ . كجعل علم الكلام هو المعتبرُ في تقرير العقائدِ دونَ الكتابِ والسُّــنَّةِ ؛ فهَذا مِمَّا أجمعَ أهلُ العلم على تبديع أهلِه. كما نقله كثيرٌ مِن أهلِ العِلم مِنهم الحافظُ أبو عمرَ ابن عبدِ البــرِّ فــي كتابه جامعُ بيانِ العلم وفضلِــه . قال : (أجمعَ أهلُ الفقه والآثار من جميع الأمصار أنَّ أهلَ الكلام أهل بدع وزيغ)[8]؛ فإنَّ في جعلِ علم الكلام مســتمَدَّ العقائدِ مخالفةً ظاهرةً للكتاب والســنةِ بل هو إعــراضٌ عنهما . ويترتَّبُ عليه قواعدُ وفروعٌ كثيرةٌ مِن البدعِ .

ومِن أوجهِ غلبةِ البدعةِ أن تكثُرَ مِن المتلبِّس بها البدعُ الجزئيةُ حتَّــى تغلِبَ على أمــره . ولا يقومَ لها معارِضٌ فــي حالِه مِن تعظيم السُّــنَّةِ ونبــذِ البِدَعِ إجمالاً ؛ فإنَّ هــذا بمنزلةِ البدعةِ الكُلِّيةِ . ووجهُ هذا ما بيَّنه الشــاطبيُّ - رحمه الله - في تمامِ كلامِــه المتقــدِّم . قال : (ويجري مَجرى القاعــدةِ الكُليةِ كثرةُ الجزئيــاتِ ؛ فإنَّ المبتدعَ إذا أكثرَ مِن إنشــاءِ الفروعِ المخترعةِ عادَ ذلك على كثيرٍ مِن الشــريعةِ بالمعارضةِ . كما تَصيرُ القاعدةُ الكليــةُ معارَضةً أيضًا)[9]. وفي كلامِه ذِكْــرُ وجهِ التفريق بين البدعةِ الجزئيةِ الواحدةِ . وكثرةِ البِدَعِ الجزئيةِ التي تغلبُ على حالِ المرءِ في تأثير كلٍّ في التبديع .

ومِــن أوجهِ غلبةِ البدعةِ أن تكونَ مغلَّظةً . كأن تكونَ مِمَّا كفَّرَ الســلفُ صاحِبَه إجماعًا . كتعطيلِ الجهميةِ . والقولِ بخلقِ القرآن . ومقالةِ غلاةِ المرجئةِ . أو مما اختلفوا في تكفيرِ صاحبِه. كبدعــةِ الخــروجِ . والرَّفضِ[10]. واشــتهرَ مخالفتُهــا للكتابِ والسُّــنةِ مخالفــةً ظاهرةً . وتواردوا على تبديــعِ مَن انتحلها. وقد سُــئلَ ابنُ تيميةَ عن البدعــةِ التي يُعَدُّ صاحبُها مِن أهلِ الأهــواءِ . فأجــاب : (والبدعــةُ التي يُعَــدُّ بها الرجــلُ مِن أهلِ الأهواءِ ما اشتَهَرَ عِندَ أهلِ العِلم بالسنةِ مخالفتُها للكتابِ والسنةِ . كبدعةِ الخوارجِ والروافضِ والقدريةِ والمرجئةِ)[11].

ومِــن أوجــهِ غلبةِ البدعةِ كذلــك أن يتَّخِذَ المرءُ قــولاً مُبتَدَعًا يَنصِبُه للناس . ويجعلَــه محنةً لَهم . ومَعقِدًا لولائه وبرائه. ومِثلُــه أن يتَّخِذَ لمثل ذلك جماعةً أو رَجُلاً ؛ فإنَّ هذا مِن أعظمِ مــا يُحدِثُ الفُرقــةَ . ويوجِــبُ الإنــكارَ والمفارقــةَ ؛ إذ هو عينُ مفارقةِ الجماعةِ . بتفريقِ الدِّين شِــيَعًا . وهو المعنى الذي يدورُ حولَــه التبديــعُ . قال ابنُ تيميةَ : (ومثلُ هــؤلاءِ إذا لَم يَجعلوا مــا ابتدعوه قــولاً يفارقون به جماعةَ المســلمين يوالون عليه ويعــادون . كان من نــوع الخطأ . والله ســبحانه وتعالى يغفرُ للمؤمنــين خطأهم فــي مثل ذلك . ولهذا وقــع في مثل هذا كثير من ســلف الأمة وأئمتها لهم مقــالات قالوها باجتهاد وهــي تخالف ما ثبــت في الكتاب والســنة . بخلاف من والى موافقَه وعــادى مخالفه . وفرَّق بين جماعةِ المســلمين وكفَّر وفسَّــق مخالفَه دون موافقِه في مسائل الآراء والاجتهادات . واســتحل قتالَ مخالفِه دونَ موافقِه ؛ فهؤلاء مِن أهلِ التفرُّقِ والاختلافــاتِ ؛ ولهذا كان أول من فارقَ جماعة المســلمين من أهل البدع الخوارج المارقون)[12].

وأمَّا مَن وقعَ في بدعٍ جزئيةٍ يســيرةٍ . أو مَن قالَ مقالةً بدعيةً لم يتصوَّرْها ولم يلتَزم لوازمَها . أو مَن عظَّم السُّنَّةَ وتحرَّاها إلا أنَّه لَم يُوَفَّقْ إلى تحقيقِها . فإنَّ هؤلاءِ الثلاثةَ تُعَدُّ مخالفتُهم مِن قَبيل الخطأ والاجتهادِ . ولا يُخرَجُون مِن جملةِ أهلِ السُّنةِ. وإن وَجَبَ التنبيهُ إلى زلَّاتِهم نصيحةً لئلا يُتَّبعوا فيها .

فالأولُ مثلُ ابن خزيمةَ في مقالتِه المعروفةِ في حديثِ الصُّورةِ؛ إذ كان على السُّــنةِ في أصــولِ بابِ الصفاتِ . وســائرِ أصولِ الدِّينِ . وعَرَضَ له مِن التَّأويلِ ما جعلَه يتأوَّلُ حديثَ أبي هريرةَ - رضــي الله عنه - عند مســلم أنَّ النبــيَّ - صلى الله عليهِ وسلم - قال : (إذا قاتل أحدُكم أخاه فليجتنب الوجهَ ؛ فإنَّ الله خَلَقَ آدمَ على صورته)[13]. تأوَّله ابنُ خزيمةَ بأنَّ المرادَ : على صورةِ المضــروب[14]؛ فخالفَ في ذلك الإجماعَ على إثباتِ الصُّورةِ لله - عزَّ وجلَّ - . فلم يُبدِّعْه أئمةُ الإســلام . وما زالوا يُثنون عليه. قــال الذهبــي بعد أن اعتــذر له : (ولــو أنَّ كلَّ مَــن أخطأ في اجتهادِه مع صحَّةِ إيمانِه . وتوخِّيه لاتِّباعِ الحقِّ أهدرناه وبدَّعناه. لقلَّ مَن يَسلَمُ مِن الأئمَّةِ مَعَنا)[15].

والثاني مثلُ الموفَّق ابن قدامةَ ؛ إذ قد تابعَ الغزاليَّ - في روضةِ الناظر - فقرَّرَ قولَ الأشــاعرةِ في مســائلَ فرعيةٍ في مباحثَ عديدةٍ . كالتكليفِ والتعليلِ والأمرِ . مع أنَّه قد أحســنَ تقريرَ مُعتقــدِ أهلِ السُّــنَّةِ في كتابــه لمعةُ الاعتقــادِ . وفي غيره . وانتصرَ له في أصولِ الاعتقادِ[16]. ولم يُبدِّعْه أهلُ العلمِ . وإنَّما حفظــوا له مكانتَه . واعتذروا لــه وحملوا ما يُمكِنُ حملُه مِن كلامِــه على خيرِ محامِله . وكتابُــه اللُّمعة مِمَّا اعتنى به أهلُ السُّنَّةِ شرحًا وتدريسًا في بابِ أصولِ الدِّينِ .

والثالــثُ مثلُ الحافظِ ابــن حجرَ . حيثُ لم يُوَفَّقْ إلى السُّــنَّةِ فــي عددٍ مِن أبوابِ أصولِ الدِّيــن كالصِّفاتِ والإيمانِ . فقد قال فيها بمقالاتٍ مُبتَدَعةٍ . ولَم يُبدِّعْه أهلُ العلم ؛ لتحَرِّيه إصابةَ السنةِ وتعظيمِه للآثار . ونبذِه لمنهجِ أهلِ الكلامِ في الاستدلالِ العَقَــديِّ . وإن وافقَهــم في بعضِ الأبوابِ تأثُّرًا بالغالِبِ على بيئتِه العلميةِ . ومِثلُه في هذا طائفةٌ مِن المشتغلين بالحديثِ مِن المتأخرينَ . كلُّ هؤلاءِ تُرَدُّ مقالاتُهم التي خالفوا بها السُّــنَّةَ المقطــوعَ بها . ولا يُخرَجون مِن جملةِ أهلِ الســنةِ والجماعةِ . ويُحفَظ لهم قدْرُهم . ويُجبرُ عثراتُهم . ويَشفعُ لهم تأويلُهم

---

٨ - جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٤٢

٩ - الاعتصام ٢/٧١٢

١٠ - وقــد أحــدثَ متأخرو الروافضِ بِدَعًا فوقَ ما كان عليــه متقدموهم ؛ إذ انتحلوا في العقائد طريقةَ المعتزلةِ . ودخل عليهم الشِّركُ في العبادةِ وفي الربوبيةِ . وغيرِ ذلك من البدع المغلظةِ.

١١ - مجمــوع الفتــاوى ٣٥/٤١٤ . وقد قالَ في موضعٍ آخرَ : (وأما المرجئةُ فليســوا مِن هذه البدعِ المغلظــةِ . بل قد دخل في قولِهم طوائفُ مِن أهلِ الفقهِ والعبادةِ . وما كانوا يُعدونَ إلا مِن أهلِ السنةِ . حتَّى تغلَّظَ أمرُهم بما زادُوه مِن الأقوالِ المغَلَّظةِ) مجموع الفتاوى ٣/٣٥٧ .

١٢ - مجموع الفتاوى ٣/٣٤٩

١٣ - وفي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعًا : (خلق اللهُ آدمَ على صورته) .

١٤ - انظر التوحيد لابن خزيمة ١/٨٤ . وانظر كلام شيخ الإسلام في ردِّه على التأسيس للرازي .

١٥ - سير أعلام النبلاء ١٤/٣٧٦

١٦ - وانتُقِــدَ فــي مواضعَ محتملةٍ من اللُّمعــةِ . انظرها وانظر كلام الشــيخ علي الخضير في كتابه (الزناد شرح لمعة الاعتقاد) .

وفضلُهم. قال الشاطبيُّ: (وأمَّا الجُزئيُّ فبخلافِ ذلك، بل يُعدُّ وقوعُ ذلك مِن المبتدع له كالزَّلةِ والفَلتةِ، وإن كانت زلةُ العالِم مِمَّا يهدمُ الدِّينَ، حيثُ قال عمرُ بنُ الخطاب - رضي اللّٰه عنه -: «ثلاثٌ يَهدِمنَ الدينَ: زلة العالِم، وجِدالُ منافقٍ بالقرآن، وأئمةٌ مضلونَ». ولكن إذا قَرُبَ موقعُ الزلةِ لم يَحصُلْ بسببِها تفرُّقٌ في الغالِبِ ولا هدمٌ للدين، بخلافِ الكليات)[17].

فالأوجه التي يسوغُ إطلاقُ تبديعِ المرءِ بها المأخذُ فيها متقاربٌ؛ إذ هي دائرةٌ بين المعارضةِ البيِّنةِ الهادمةِ للسُّنَّةِ، والإحداثِ الذي به تفارَقُ الجماعةُ، وتجتمعُ في غلبةِ البدعةِ على حالِ الرجلِ، وقد يعارضها أحوالٌ مِن تعظيمِ الأثرِ والسُّنةِ وحسنِ القصدِ، والمقصودُ أنَّ مجموعَ أحوالِ الرَّجُلِ مؤثِّرةٌ فيما يُحكَمُ به عليه، وقد يختلفُ أهلُ العلمِ في تطبيقِ هذه القواعدِ على الأعيانِ، والواجبُ على العامةِ وطلبةِ العلمِ الحرصُ على اتباعِ العلماءِ المحققينَ في هذا البابِ، وعدمُ الاستقلالِ بالحكمِ فيه، لعُسرِ ضبطِه، وقيامِه على الاستقراءِ، ودقَّةِ المآخِذِ فيه[18].

ويحســنُ في هذا الموضعِ التنبيهُ إلى مقالـةٍ خطيرةٍ تتعلَّقُ بمسـألةِ التَّبديعِ بمخالفـةِ أصولِ الدِّينِ المجمَـعِ عليها، أعني إنكارَ بعضِهم تقسـيمَ الدِّينِ إلى أصولٍ وفروعٍ، وزعمَهم أنَّ هــذا من الابتداعِ فــي الدِّينِ والزيادةِ عليهِ، وقدْ نسـبَ هؤلاءِ هذه المقالةَ إلى شَـيخِ الإسلامِ - رحمه اللّٰه - بل على كلامِه اعتمَـدوا، ومن ذلك قولُـه: (أمَّا التفريقُ بينَ نوعٍ وتسـميتُه مسـائلَ الأصولِ، وبين نوعٍ آخرَ وتسـميتُه مسـائلَ الفروعِ، فهـذا الفرقُ ليسَ له أصـلٌ لا عَن الصحابـةِ ولا عَن التابعينَ لهم بإحسـانٍ ولا أئمةِ الإسـلامِ، وإنَّما هو مأخوذٌ عَن المعتزلةِ وأمثالِهـم مِنْ أهلِ البدعِ وعَنهمَ تلقَّاه مَن ذَكَرَه مِن الفقهاءِ فـي كتبِهم)[19]. ولكنَّ إطلاقَ إنكارِ التقسـيمِ وتبديعِه باطلُ النِّسبةِ إلى الشَّريعةِ، وباطلُ النِّسبةِ إلى ابنِ تيميةَ.

فأمَّا بطلانُ نسبتِه إلى الشريعةِ فلأنَّ هذا التقسيمَ اصطلاحٌ محـضٌ، لا يُنكَرُ ما لم يتضمَّن باطلاً في الحدِّ أو الحكم أو يؤدِّ إليه، أو يكُن فيه تركٌ للأسـماءِ الشـرعيةِ، فبابُه الاجتهادُ، وقد سـارَ عليه أئمةُ الإسلامِ اصطلاحًا وإقرارًا، فكان إجماعًا منهـم على مشـروعيةِ التَسـميةِ به، وأمَّـا كونُها محدثةً فإنَّها كتقسـيمِ العلومِ إلى فقهٍ وتفسيرٍ وحديثٍ وغيرِ ذلك، وكتقسـيمِ المأموراتِ إلى واجباتٍ ومندوبـاتٍ، والمنهياتِ إلى محرماتٍ ومكروهاتٍ، وكتقسـيمِ الصلاةِ إلى أركانٍ وواجباتٍ وسـننٍ، وكتقسـيمِ الأحكامِ إلى تكليفٍ ووضعٍ، ونحو ذلك من التقسيماتِ المحدَثةِ التي أجمع أئمةُ الإسلامِ على إقرارِها والاصطلاحِ بها، ولم يقل أحدٌ بأنَّ الاصطلاحَ ابتداعٌ في الدِّينِ. وهذا التقسـيمُ صوابٌ من حيثُ إنَّ الناظرَ في شـرائعِ الدِّينِ يجدُهـا علـى مراتـبَ، ويجدُ بينَها تفاضُـلاً، فمِنها ما أطبقَ عليه الرُّسـلُ ومِنها مـا اختلفوا فيه، ومِنها مـا اتَّفقَ عليه المسـلمونَ والسَّـلفُ ومِنها ما اختلفوا فيه، ومِنها ما يجبُ تعلُّمـه عينيًّا ومنها ما لا يجبُ، ومِنها ما يكفرُ المرءُ بجهلِه أو تركِـه ومِنها مـا لا يكفرُ به، وغيرِ ذلك مــن أبوابِ التَّرتيبِ والتفاضُلِ، وسيأتي ذِكرُ ابنُ تيميةَ لهذا الوجه.

وأمَّا بطلانُ نسـبتِه إلى ابنِ تيميةَ فظاهـرٌ لِمَن لم يقف عندَ بعضِ كلامِه وعدَّى النَّظرَ إلى سـائره؛ لأنَّه قد قسَّـم الدينَ إلـى أصولٍ وفروعٍ في رسـائلِه فـي عشـراتِ المواضِعِ وفي سياقاتٍ مختلفةٍ يَجزمُ معها النَّاظرُ بغلطِ نسبةِ إنكارِ ذلك التقسـيمِ إليه، مِنها ذِكرُه أنَّ الرُّسُـلَ قد اتَّفقوا على أُصولِ الدِّينِ واختلفوا في شـرائعِه، كقولِـه في الجوابِ الصحيحِ: (والذي أنزلَه اللّٰه هو دينٌ واحدٌ اتفقَتْ عليه الكُتُبُ والرُّسلُ، وهم متَّفقون في أصولِ الدِّينِ وقواعِدِ الشـريعةِ، وإن تَنَوَّعُوا في الشِّرعةِ والمِنهاج)[20]، ومِنها تسميتُه لبعضِ أصولِ الدِّينِ، كقولِه: (كلُ موضعٍ فيه أحدُ أصولِ الدينِ الثلاثةِ وهي التوحيدُ والرُّسـلُ والآخـرةُ)[21]، وقولِـه: (وأمَّا الصلاةُ فهـي أولُ فرضٍ، وهي مِن أصولِ الدِّينِ والإيمانِ)[22]، ومِنها إشـارتُه إلى أنَّ شرائعَ الدِّيـنِ على مراتبَ، في قولِه: (وكذلـك ليس الأمرُ بالتوحيدِ والإيمانِ باللّٰه ورسولِه وغيرِ ذلك مِن أصولِ الدينِ الذي أَمَرَتْ به الشرائعُ كلُّها وغيرِ ذلك مِمَّا يتضمَّن الأمرَ بالمأموراتِ العظيمةِ، والنهيُ[23] عَنِ الشِّركِ وقتلِ النفسِ والزِّنا ونحو ذلك مِما حرَّمَتْه الشـرائعُ كلُّها وما يحصلُ معه فسـادٌ عظيمٌ، كالأمرِ بلَعقِ الأصابـعِ وإماطـةِ الأذى عَن اللُّقمـةِ السـاقطةِ والنهيَ عن القِرانِ في التَّمرِ، ولو كان الأمرانِ واجبين، فليس الأمرُ بالإيمانِ بـاللّٰهِ ورسـولِه كالأمرِ بأخـذِ الزِّينةِ عِندَ كُلِّ مَسـجدٍ والأمرِ بالإنفـاقِ على الحاملِ وإيتائِهـا أجرَها إذا أرضَعَـت)[24]، ومِنها قولُه بـأنَّ القرآنَ هو مصـدرُ أصولِ الدِّينِ وفروعِـه، كقولِه: (إذ المقصـودُ هنا أنَّ جعلَ القرآنِ إمامًا يؤتَمُّ به في أصولِ الدينِ وفروعِه هو دينُ الإسـلامِ، وهـو طريقةُ الصحابـةِ والتابعين لهم بإحسـانٍ وأئمـةِ المسـلمين)[25]، ومِنها وصفُـه لبعضِ كتبِ السَّـلفِ بكتبِ أصولِ الدِّينِ، كقولِه عن الإمامِ أحمدَ: (وأبو بكـرٍ الخلالُ قد طاف البِـلادَ وجمعَ مِــن نصوصِه [يعني نصوصَ أحمدَ] في مسـائلِ الفقهِ نحوَ أربعين مجلدًا، وفاتَه أمورٌ كثيرةٌ ليسـت فـي كتبِه، وأما ما جمَعَـه مِن نصوصِه فمِن أصولِ الدينِ مثل كتابِ السنة نحو ثلاثِ مجلدات ...)[26]، ومِنها قولُه بأنَّ السَّـلفَ لـم يتنازعوا في أصـولِ الدِّينِ وإنَّما أجمعـوا عليهـا، كقولِه: (وكانوا مؤتلفين فـي أُصولِ الدِّينِ لَم يتفرَّقُوا فيـه، ولم تَظهرْ فيهم البدعُ والأهواءُ الجائرةُ عن الطريق)[27]، وقولِه: (فإنَّه ليس بين هؤلاءِ الأئمةِ وأمثالِهم نزاعٌ

١٧ - الاعتصام ٢/٧١٢-٧١٣

١٨ - ولعلَّ ابنَ تيميةَ - رحمه اللّٰه - مِن أحسنِ مَن حرَّر ضوابطَ مسألةِ التبديع، وإن كانت متناثرةً في رسـائلِه، وأحيلُ الراغبَ في الاسـتزادةِ إلى شـرحِ الشيخِ يوسـفَ الغفيصِ - وفقه اللّٰه - على بعضِ رسائلِ ابنِ تيميةَ، فأكثرُ هذا إنَّما حُرِّرَ وضُبِطَ بتحريرِه وضبطِه.
وللفائدةِ: الشيخانِ الغفيصُ وناصرُ الفهد مِن أخبرِ الناسِ بكلامِ ابن تيميةَ وأجمعِهم له.

١٩ - مجموع الفتاوى ٢٣/٣٤٦، ونحوه في ١٣/١٢٥.

٢٠ - المنهاج الصحيح ٢/٤٣٨

٢١ - مجموع الفتاوى ١٦/٣٧١

٢٢ - مجموع الفتاوى ١٠/٣٥٦

٢٣ - بالرَّفعِ، عطفًا له على اسمِ ليسَ لا على معمولِ يتضمن، وخبرُ ليس آتٍ بعدُ.

٢٤ - مجموع الفتاوى ١٧/٥٨-٥٩

٢٥ - مجموع الفتاوى ١٦/٤٧١-٤٧٢

٢٦ - مجموع الفتاوى ٣٤/١١١-١١٢

٢٧ - بيان تلبيس الجهمية ١/٣٥٦

في أصول الديـن)[٢٨]. وقوله : (فأمَّا الأعصـارُ الثلاثةُ المفضلةُ فلم يكن فيها بالمدينـة النبوية بدعةٌ ظاهرةٌ البتة . ولا خرج منهـا بدعةٌ في أصول الدين البتـة)[٢٩]. ومنها بيانُه أنَّ الخلافَ في الأسـماءِ والأحكامِ أوّلُ خلافٍ ظهرَ فـي الإسلامِ فـي أصولِ الدِّينِ . كقولِه : (والخلافُ فيه أولُ خلافٍ ظهرَ في الإسـلام في مسـائلِ أصولِ الدين)[٣٠]. ومنها نصُّه على انقسام الدِّينِ إلى أصولٍ وفروعٍ نصًّا لا أصرحَ منه . كقولِه : (قد بسـطْنا الكلامَ على ما يتعلَّقُ بهذه القاعدةِ في غيرِ موضع ؛ لتعلُّقِها بأصولِ الدين وفروعِه)[٣١]. وقولِه : (لفظُ الشـرعِ في هذه الأزمنةِ ثلاثةُ أقسام : أحدها الشـرعُ المنزَّلُ . وهو الكتابُ والسنةُ . واتِّباعُه واجـبٌ . مَن خرج عنـه وَجَبَ قتلُه . ويدخل فيـه أصولُ الدِّينِ وفروعُـه ...)[٣٢]. وقولُه عن الخلافـات الفقهية : (فإن الاعتصامَ بالجماعـةِ والائتلافَ مِن أصول الديـن . والفرعَ المتنازَع فيه مِن الفروعِ الخفية)[٣٣].

وأمَّا المواضعُ التي فُهِمَ منها إنكارُ ابن تيميةَ لتقسيم الدِّينِ إلـى أصولٍ وفـروعٍ فلم تكن لتشـكِلَ لولا أنْ قـد نُظِرَ إليها بمعزلٍ عَن سياقاتِها . فإنكارُه للتَّقسيم فيها لم يكن لنفس المصطلح . وإنَّما لمعانٍ باطلةٍ ألحِقَت به . إمَّا بحدِّه بحدودٍ باطلةٍ وإدخـالِ ما ليس منه من المسائلِ فيه . كإدخالِ الفلسـفاتِ والكلاميـاتِ في أصـولِ الدِّيـنِ . وإمَّـا بقصرِه علـى مصادرَ بعضُها لا يسـتقلُّ بإدراكِه كلِّـه وبعضُها لا مدخلَ له فيه . كزعمِ بعضِ المتكلمين أنَّ أصولَ الدِّينِ هي ما مصدرُه العقلُ دونَ الشَّرعِ وبعكسِها فروعُه . وجعلِ تقريره بعلم الكلام دون السَّمعِ . وإمَّا بقصره على موردٍ دون غيره . كقولِهم إنَّ أصولَ الدِّينِ هي العقائـدُ والتصوُّراتُ وفروعَه هي العملياتُ[٣٤]. وإمَّا فـي ترتيبِ أحكامٍ عليه بلا دليلٍ . كقـولِ بعضِهم بأنَّ أصولَ الدِّينِ لا يُعذَرُ المخطِئُ فيها مجتهدًا أو جاهلاً دونَ فروعِه . وغير ذلك ممَّا لا يصحُّ إطلاقُ نسبتِه إلى أصولِ الدِّينِ .

وبهذا يصحُّ القطعُ ببطلانِ نسـبةِ إنكارِ تقسـيم الدِّينِ إلى أصـولٍ وفـروعٍ واعتبارِه بدعةً إلى ابن تيميـةَ . وقد أكثرتُ مِن النَّقلِ عن شـيخِ الإسـلام - مـع أنَّ هذا ليس موضعَ بسـطِ المسـألةِ - لأهميةِ القطعِ ببطلانِ نسبةِ هذا القول إليه. لئلا يُتَّـكأ عليه لتقريرٍ باطلٍ . فهذه الدعاوى والأقوالُ وإن قال بها قومٌ لسـوءِ فهمٍ محضٍ . أو لمقاصدَ حسـنةٍ . فإنَّ منهم مَن يقولُهـا لمقاصدَ بدعيةٍ . فإنَّ منهم مَن يقرِّرُ بطلان تقسـيمِ الدِّيـنِ إلى أصولٍ وفـروعٍ ليتوصَّلَ به إلى تسـويغِ الخلافِ في مسـائلِ الأصولِ حملاً لها على مسـائلِ الفروعِ[٣٥] وإلى إقرارِ المبتـدعِ على بدعتِه . وإلـى جعلِ أصولِ الدِّينِ مِـن الظَّنياتِ والمتغيِّراتِ . وهذا ما اصطُلِح على تسميتِه بتمييعِ الدِّينِ. وهو يُقرِّرُ باسـمِ نبذِ الخلافِ والفرقـةِ . والأمرِ بالجماعةِ . وحقيقتُه تضييـعُ معنى الجماعةِ المأمورِ بتحقيقِه شـرعًا . وفي هؤلاءِ يقـولُ ابنُ تيميـةَ : (وبإزاءِ هـؤلاءِ المكفِّرين بالباطـلِ أقوامٌ لا يعرفون اعتقادَ أهلِ السـنةِ والجماعةِ كمـا يَجب . أو يعرفون بعضَه ويجهلون بعضَه . وما عرفوه منه قد لا يبينونه للناس بل يكتمونَه . ولا ينهون عَن البدعِ المخالِفةِ للكتابِ والسـنة . ولا يذمُّـون أهلَ البدعِ ويعاقبونهم . بل لعلهم يذمون الكلام في السـنة وأصول الدين ذمًّا مطلقًـا . لا يفرقون فيه بين ما دل عليـه الكتاب والسـنة والإجماع وما يقولـه أهلُ البدعةِ والفرقـةِ. أو يقـرون الجميع على مذاهبهم المختلفـةِ كما يُقَرُّ العلماءُ في مواضعِ الاجتهادِ التي يسـوغ فيها النزاع . وهذه الطريقة قـد تغلب على كثيرٍ من المرجئـةِ وبعضِ المتفقهةِ والمتصوفـةِ والمتفلسـفةِ . كما تغلـب الأولى [يعنـي الغلوَّ تكفيـرًا] علـى كثيرٍ مـن أهلِ الأهـواءِ والـكلام . وكلا هاتين الطريقتين منحرفةٌ خارجةٌ عن الكتاب والسنة)[٣٦].

هذا ما تيسَّـر كتابتُه في تأصيلِ مسـألةِ التَّبديـع . ولم آتِ فيـه إلا على ما تعظُـم الحاجةُ إليه في المسـائل الآتية ؛ لأنَّ الكتابةَ فيها ليسـت مقصودةً أصـلاً بل تبعًا . والكلامُ عَنها - مسـتغرقًا مقالتـين - ليـس مِن الاسـتطرادِ . بـل هو قدرَ الإمكانِ مختصرٌ .

وسيأتي في المقالاتِ الآتيةِ - إن شاء اللهُ تعالى - تعرُّضٌ لأهمِّ أوجهِ الخطأِ في هذا البابِ عندَ الجماعاتِ المعاصرةِ . فسـيتبعُ هذا الكلامَ - إن شاء اللهُ كلامٌ . والحمد لله ربِّ العالمين .

٢٨ - مجموع الفتاوى ٢٥٦/٥

٢٩ - مجموع الفتاوى ٣٠٠/٢٠

٣٠ - مجموع الفتاوى ٤٧٩/٧

٣١ - مجموع الفتاوى ١٢٩/٢٢

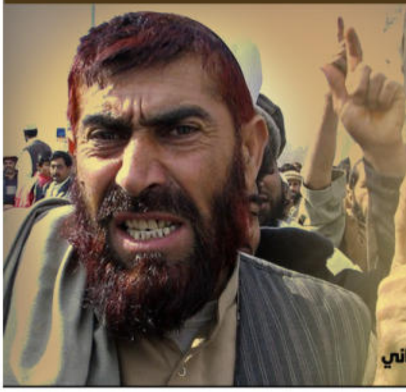
٣٢ - مجموع الفتاوى ٣٩٥/٣٥

٣٣ - مجموع الفتاوى ٢٥٤/٢٢

٣٤ - وهـذا ليـس بجامع ولا مانـع . ذلك أنَّ مِن العمليـاتِ ما هو مِن أجلِّ أصـولِ الدِّينِ . فعملُ الجوارحِ أصلٌ في الدِّينِ لا يكون مسْـلمًا مَن لم يتلبَّس منه بشـيءٍ . وحدُّه الصلاةُ على الرَّاجح. بـل إنَّ توحيـدَ العبادةِ عمليٌّ علـى الحقيقةِ بما فيه مِن أفعالٍ وتروكٍ . وأمَّـا كونُه غيرَ مانعٍ فلأنَّ مِـن العقائـدِ ما اختلفَ فيه الصحابةُ . كرؤيتِه - صلى الله عليه وسـلم - لربِّه حين أعرِجَ به . وكتعذيبِ الميِّتِ في قبرِه بنياحةِ أهلِه . وغيرِ ذلك .

٣٥ - تقدَّمت الإشارةُ إلى أنَّ الفروعَ لا يُطلَق القولُ بأنَّ الخلافَ فيها يسوغ .

٣٦ - مجموع الفتاوى ٤٦٧/١٢



اتفاق سوات

تطبيق للشريعة أم مؤامرة جديدة ؟

حامد بن حسن القحطاني

يوم الاثنين ٢٠٠٩/٢/١٦ أعلنت حكومة إقليم بيشاور عن عقد اتفاق مع الملا صوفي محمد خان أحد قادة حركة تطبيق الشريعة ، التي تطالب بتطبيق الشريعة في وادي سوات. وينص الاتفاق بحسب وسائل الإعلام على تطبيق الشريعة في الإقليم وإزالة كافة القوانين المخالفة للشريعة ، مقابل وقف مقاتلي حركة تطبيق الشريعة استهدافهم للجيش والشرطة الباكستانيين.

وقد لقي الاتفاق اهتماماً محلياً وإقليمياً ودولياً واسعاً ما بين مؤيد للداخل على الصعيد المحلي خاصة وبين معارضين للاتفاق على الصعيدين الإقليمي والدولي.

فقد أعلنت معظم الأحزاب والجماعات في الداخل الباكستاني عن تأييدها للاتفاق الذي سيوقف الحرب على إقليم سوات والتي سببت القتل والتشريد للباكستانيين الذين يرون أنها حرب لخدمة أمريكا ولا مصلحة للباكستانيين فيها .

كما أعلن مقاتلو طالبان باكستان في وادي سوات عن وقف مؤقت لإطلاق النار لانتظار وفاء الحكومة بتعهداتها ، و أبدى الكثير من أهالي الإقليم سعادتهم بالاتفاق الذي سيحقق لهم وقف عمليات الجيش في مناطقهم والتي تسببت في دمار هائل في الإقليم ، حيث قتل الآلاف و دمرت ألوف المنازل كما أجبر أكثر من مليون من سكان الإقليم على الهروب من الإقليم هرباً من جبروت الجيش الباكستاني الذي لا يتورع عن قصف سكان الإقليم بحجة وجود عناصر من طالبان باكستان بينهم ، وقد قام الجيش تبعاً لأوامر أمريكية بقصف تجمعات بشرية للسكان غير المسلحين مما تسبب في مجازر كبيرة راح ضحية بعضها العشرات ، منها على سبيل المثال حادثة استهداف مدرسة راح ضحيتها أكثر من ٨٠ من الطلاب بحجة أنها مدرسة للمتشددين .

ومن جهة أخرى أبدى سكان الإقليم سعادتهم لوسائل الإعلام التي استطلعت آراء السكان بعد الاتفاق ، فعبر الكثيرون عن رغبتهم في تطبيق الشريعة في مناطقهم وأنهم لن يقبلوا بغير تطبيق الشريعة ، خاصة وأنها ستخلصهم من النظام القضائي الفاسد الذي فرضه حكام باكستان في مناطقهم.

أما على الصعيد الإقليمي ، فقد أبدت حكومة كرزاي العميلة خشيتها من الاتفاق لأن وقف الجيش الباكستاني عملياته ضد المجاهدين من شأنه أن يزيد الضغط عليها .
كما أن الكثير من الأطراف الدولية التي تتدخل في الشأن الباكستاني بحكم احتلالها لأفغانستان البلد الجار لباكستان أبدت «قلقها» من الاتفاق :

فقد أبدى المتحدث باسم حلف الناتو (الجهة المحتلة لأفغانستان) جيمس أباثوراي قلق الحلف من أن يؤدي الاتفاق إلى توفير ملاذ آمن «للمتطرفين» في المنطقة .

أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد أعلن المبعوث الخاص لأوباما في باكستان وأفغانستان ريتشارد هولبروك بعد لقائه وزير الخارجية الهندي في نيودلهي أن سوات باتت تمثل خطراً يهدد كل من الهند وباكستان وأفغانستان .

و صرح قائلاً : للمرة الأولى منذ ٦٠ عاماً التي مرّت منذ الاستقلال تواجه بلادكم (الهند) وباكستان والولايات المتحدة عدواً يمثل خطراً مباشراً على قيادتنا وعواصمنا وشعوبنا .

كما عبر في مقابلة مع قناة CNN الأمريكية عن قلقه من الاتفاق خشية أن يؤثر على الخطط الصليبية لتجنب الهزيمة المؤكدة للصليبيين في أفغانستان فصرح لهم : إني أشعر بالقلق واعلم أن وزيرة الخارجية (كلينتون) والرئيس(أوباما) قلقون من الاتفاق - الذي أظهرته وسائل الإعلام على أنه هدنة - قد يتحول إلى استسلام .

وفي السياق نفسه صرحت السفارة البريطانية في إسلام أباد بقلقها من الاتفاق .

حركة تطبيق الشريعة في سوات ، لمحة تاريخية :



- كان إقليم سوات إقليماً مستقلاً عن الحكم الباكستاني تطبق فيه الشريعة الإسلامية حتى العام ١٩٧٠ عندما قام الحاكم العسكري للإقليم آنذاك الجنرال يحيى خان بإلحاق الإقليم بباكستان وإلغاء الشريعة الإسلامية فيه . ومنذ ذلك الوقت وسكان الإقليم يطالبون بعودة الشريعة الإسلامية لتحكم الإقليم ويصرحون برفضهم للقانون العلماني.

- في عام ١٩٨١ انشقّ الملا صوفي محمد خان عن الجماعة الإسلامية في باكستان بعد رفضه اشتراك الجماعة في الانتخابات .

- عام ١٩٩٥ تحرك صوفي محمد مع بعض سكان الإقليم للمطالبة بتطبيق الشريعة في الإقليم . فتدخلت القوات الباكستانية ضد السكان وقتلت العديد منهم .

- عام ٢٠٠١ وبعد دخول القوات الصليبية إلى أفغانستان تحرك صوفي محمد ومعه ١٠ آلاف من الباكستانيين لنصرة إخوانهم في أفغانستان . و تشير بعض الروايات إلى مقتل ٣ آلاف منهم وأسر الكثيرين . ومنهم صوفي محمد الذي نقل إلى معسكر غوانتنامو السيء الصيت . ثم قبلت القوات الأمريكية الإفراج عنه حيث نقل إلى سجن باغرام (غوانتنامو الأفغاني) ومنه سلم إلى القوات الباكستانية حيث بقي مسجوناً لديها منذ عام ٢٠٠٢ .

- عام ٢٠٠٢ تحرك مولانا فضل الرحمن (وهو صهر صوفي محمد) للمطالبة بتطبيق الشريعة في الإقليم .

- الفترة ٢٠٠٤-٢٠٠٦ توجه مولانا فضل الرحمن للعمل الدعوي لتطبيق الشريعة في الإقليم حيث أنشأ خدمة لذلك حوالي ٣٠ محطة إذاعية اعتبرتها السلطات الباكستانية خارجة عن القانون . كما شهدت الفترة الكثير من الاشتباكات بين جيش الحكومة والمطالبين بتطبيق الشريعة من سكان الإقليم .

- تموز ٢٠٠٧ . أعلن مولانا فضل الرحمن تصعيد الجهاد ضد حكومة مشرف على خلفية مجزرة المسجد الأحمر التي راح ضحيتها المئات من طلاب وطالبات المدرسة الملحقة بالمسجد. وأعلن مشرف نشر قوات كبيرة من الجيش في سوات للقضاء على الحركة .

- تشرين الأول ٢٠٠٧ : مولانا فضل الرحمن يؤسس المئات من المحاكم الشرعية في الإقليم والتي قوبلت بترحيب شعبي كبير.

- تشرين الثاني ٢٠٠٧ : الحركة تبسط نفوذها على كامل الإقليم.

- كانون الأول ٢٠٠٧ : معارك شرسة بين المجاهدين وجنود مشرف . ونزوح حوالي نصف مليون من سكان وادي سوات هرباً من مدفعية الجيش وقصف طائراته .

- نيسان ٢٠٠٨ : عودة الجماعة للسيطرة على الإقليم . وإطلاق سراح صوفي محمد .

- أيار ٢٠٠٨ : اتفاق لوقف إطلاق النار بين حكومة إقليم بيشاور وحركة تطبيق الشريعة تنص على تطبيق الشريعة في الإقليم وانسحاب الجيش منه مقابل توقف مقاتلي الحركة عن استهداف عناصر الجيش والشرطة .

- بسبب عدم التزام الحكومة بسحب الجيش من الإقليم . قام مقاتلو الحركة باستهدافه لإجبارهم على الالتزام بالاتفاق .

- حزيران ٢٠٠٨ : أعلنت الحكومة الباكستانية إلغاء الاتفاق. بسبب مزاعمها عن عدم التزام الحركة به . و تأكيد الكثير من المحللين أن إلغاء الاتفاق كان استجابة لرغبة الولايات المتحدة والناتو .

- شباط ٢٠٠٩ : اتفاق جديد بين الحكومة والحركة على تطبيق الشريعة في الإقليم .

الظروف المحيطة بالاتفاق :

١- الصعود الكبير لقوة المجاهدين في أفغانستان . والخشية المعلنة للصليبيين من إعلانهم الهزيمة قبل شتاء ٢٠١٠ . وفشل كبير من قبل الصليبيين وعميلهم كرزاي في إحداث أي شق داخل حركة طالبان . أو بين الطالبان والقاعدة تؤمل عليه الولايات المتحدة كثيراً في وقف هزائمها . بعد سيل الهزائم العسكرية التي تعرضوا لها .

٢- تصاعد ملحوظ لقوة المجاهدين في المناطق الباكستانية المحاذية للحدود الأفغانية وخاصة في مناطق سوات ووزيرستان. تلك القوة التي كبدت الصليبيين وعملاءهم الأفغان والباكستان الكثير من الخسائر وألجأت الصليبيين إلى وقف خط الإمدادات الرئيس لقواتهم في أفغانستان عن طريق باكستان بسبب هجمات المجاهدين على خطوط الإمداد وغنمهم للكثير من الأسلحة والمعدات . مما أجبرهم على البحث عن خطوط إمداد بديلة سيكون أهمها الخط الطويل جداً المار بروسيا - كازاخستان -طاجكستان .

٣- استلام أوباما منصبه في البيت الأبيض . مما يعني البدء في تنفيذ استراتيجيته المعلنة في «الحرب على الإرهاب» والتي تقوم على تركيز الجهد الأمريكي على قتال المجاهدين في أفغانستان على اعتبار أنها الجبهة الرئيسة في «الحرب على الإرهاب» . وبالتالي التركيز على المناطق الباكستانية المحاذية كونها تشكل القاعدة الخلفية و السند الرئيس للمجاهدين في أفغانستان .

كما إن عماد خطة أوباما يقوم على تقليد النموذج العراقي في إدارة الحرب مع المجاهدين وهو أن الحرب العسكرية لا تجدي

فـي حين أن المؤامـرات والعمل على شـق صفـوف المجاهدين عن طريق الوعود الكاذبة والإشـاعات هي السـبيل لإشغال المجاهدين بأنفسهم . ولملمة صفوفهم فيما يتفرغ الأمريكان للقضـاء عليهم بأيديهـم أو بأيدي من يتم إغواؤهم سـواء بالوعـود الكاذبة أو بالمال والمناصـب . أو حتى بمجرد خداعهم بالأخبار الكاذبة بتشـويه سـمعة المجاهدين فينسـاقون وراء تلك الإشاعات نحو قتال إخوانهم .

٤- التقـارب الهندي الأمريكـي الكبيـر . والتهديدات الهندية لباكسـتان بعد عملية بومباي مما أجبر الجيش الباكسـتاني علـى الاسـتجابة لتلـك التهديـدات بنقل جزء مـن الجيش مـن الحدود الغربيـة لوضعها في حال اسـتعداد على الحدود الشرقية مع الهند .

٥- مأزق كبير تعاني منه حكومة زرداري العميلة . خاصة الأزمة الاقتصاديـة الخانقـة والمديونية العالية لـدول الصليب التي تضخ الملايين مـن الدولارات كديون للحكومة الباكسـتانية وتشـترط عليهـا أن لا توجه تلـك الديون للإعمـار والتنمية وإنمـا فقـط لقتـال الباكسـتانيين وتهجيرهم مـن ديارهم ونصرة القوات المحتلة لأفغانسـتان . هـذا الأمر يجعل المجتمع الباكسـتاني في حالة معيشـية صعبة وخاصـة المهجرين منهم من مناطق القتال في سوات . والذين يزيد عددهم عن المليون نسـمة يتوزعون في المدن الباكسـتانية الكبرى وفي المناطق القريبة من أقاليمهم .

اتفاق الشريعة لماذا ؟



جندي باكستاني يحرس القوات الصليبية

كل من عرف الحكومة الباكسـتانية. عرف عداءها الشـديد للشـريعة والمجاهدين . حيث نقل هولبـروك عن زرداري وصفه المسـلحين بعد الاتفاق مباشـرة أنهم « قتلة . وقطاع طرق . ويشكلون خطراً على باكستان والولايات المتحدة» . فلا يُتوقع إذن من حكومة زرداري تغير في نظرتهم للشريعة أو للحركة المطالبـة بتطبيقها . فالاتفاق ليس سـوى مناورة من قبل الحكومة الباكستانية لكسب عدة أمور :

١- كسـب الوقت : حيـث أن إيقاف حركة تطبيق الشـريعة لإطلاق النار سيسـمح للجيـش بتجميع صفوفـه و تقوية مواقعـه ريثمـا تبدأ الجولـة الجديدة من الحرب علـى الحركة . خاصة أن تلك الجولة تعول عليها حكومة زرداري كثيراً . كونها ستترافق مع الزيادة الكبيرة للقوات الصليبية المنتشرة على الجهة الثانية من الحدود . حيث تعهد أوباما بنقل أكثر من ٣٠ ألف من الجنود المنتشـرين في العراق لوضعهم في سـاحات القتال ضد الطالبان في أفغانسـتان . كما أن الجيش سيكون أقوى في الجولة القادمة بسبب الدعم الأمريكي الكبير الذي سيتلقاه كضرورة لنجاح خطته على الطرف الآخر من الحدود بحيث يقوى الطرف الباكستاني من الكماشة التي يخطط الأمريكان لإطباقها على مناطق القبائل .

وقد عبر زرداري بوضوح عـن هذا المخطط بتطمينه للأمريكان «أن الاتفاق مؤقت حتى تسـتقر الأوضاع» . حسبما نقل عنه هولبروك في مقابلته مع CNN .

بالإضافـة إلى أن وقف العمليات العسـكرية التي يقوم بها الجيـش في سـوات . وكذلـك النشـاط العسـكري لمقاتلي الحركة. سـيتلوه مباشـرة انطـلاق مرحلة أخـرى من العمل من قبـل الحكومة الباكسـتانية . وهو العمـل المخابراتي عن طريق تنشـيط الجواسيس وزرع العملاء في المنطقة من أجل التجسـس علـى مواقع المجاهديـن وجمع المعلومـات عنهم لاسـتخدامها في ضبط القصـف الذي تقوم بـه الطائرات الأمريكية التي ثبت أنها تنطلق من قواعد باكستانية وليس من أفغانسـتان كما كان يعلن سابقاً . لتقوم تلك الطائرات بقصف تلك المواقـع وقتل المجاهديـن والمتعاونين معهم . ثم يأتـي دور حكومة زرداري لتندد بالأمر وتعلن تمسـكها باتفاق وقف إطلاق النار . وأنها غير مسـؤولة عن هجمات الأمريكان ولا تستطيع إيقافها .

كما أن تلك المعلومات والمسح الشامل للمنطقة و المقاتلين. سـيفيد كثيـراً الجيش الباكسـتاني عندمـا تنطلق حملته القادمة في الوادي .

٢- كسـب الدعـم : بالنظر إلى القلق الشـديد الـذي أبداه الأمريـكان والناتو مـن الاتفاق مع المجاهديـن لأنهم يعتبرونه بالضرورة سيقوي القتال في الداخل الأفغاني . فإن هذا الاتفاق من قبل الحكومة سيكون بمثابة ابتزاز للأمريكان والناتو لتقديم المزيد من الدعم للحكومة الباكستانية والجيش الباكستاني. حيث يتعلل الأخير بعدم قدرته على حسم القتال مع الحركة عسـكرياً . لذلك يتطلـب تقويته حتى يتمكـن من القضاء علـى الحركة . ويزيد من قوة هذا التفسـير . أن الاتفاق صادف حدثين مهمين هما . المباحثات التي يجريها المبعوث الأمريكي هولبروك في الهند مع المسـؤولين هناك بشـأن المنطقة . بما يعني زيادة قوة التحالف بين الهند وأمريكا والموجه للضغط على الكثير من الأطراف على رأسها باكستان .

كمـا إنه قد ينبه الهند إلى أن الاتفـاق موجه ضدها كون أي تهدئة في داخل باكستان ستعني نقل جزء من الجيش هناك إلى الجبهة الشرقية .

والحـدث الثانـي هو زيـارة رئيـس أركان الجيش الباكسـتاني للولايات المتحدة . والتي سـينجم عنها بالتأكيد الإعلان عن

سلة جديدة من المساعدات للجيش الباكستاني والمزيد من التعاون بين الطرفين .

٣- **شق الصفوف وتحييد حركة تطبيق الشريعة** : من أجل التفرغ لقتال طالبان باكستان والقاعدة في مناطق وزيرستان ، حيث إن استمر وقف إطلاق النار -لبعض الوقت- في وادي سوات فإن الجيش الباكستاني يستطيع نقل كامل ثقله لقتال المجاهدين في وزيرستان والذين يشكلون الخطر الأكبر على قوات الناتو والأمريكان في أفغانستان بالنظر إلى أن مجاهدي سوات ثقلهم الأكبر موجه ضد الحكومة الباكستانية . كما إن الاتفاق قد يؤدي إلى شق صفوف حركة تطبيق الشريعة بين المؤيدين لوقف إطلاق النار والمتمسكين بالقتال ضد الجيش الباكستاني . فقد تحدثت صحيفة The Nation الباكستانية عن أمل الحكومة الباكستانية في شق صفوف المقاتلين في سوات من خلال الاتفاق . ويؤمل زرداري والصليبيون كثيراً على ذلك لإضعاف المجاهدين . خاصة أن من وقع الاتفاق هو صوفي محمد خان بينما الطرف الذي يتولى قتال الحكومة فعلياً هو الطرف الذي يقوده مولانا فضل الرحمن . وبعد الاتفاق توجه صوفي محمد مباشرة إلى الإقليم لإقناع المقاتلين بقبول الاتفاق . وقاد مسيرة جماهيرية في الإقليم قدرت بـ ٢٠ ألف شخص للمطالبة بإحلال السلام في الإقليم .

٤- **تهدئة الداخل الباكستاني** : حيث يشهد الشارع الباكستاني حالة من الغليان . على وقع الحالة الاقتصادية المتردية . والفساد المستشري في أجهزة الحكومة . ورفض الشعب الباكستاني لمنهج التبعية لأمريكا الذي تتبعه حكومة زرداري . وكذلك الاتفاقيات مع الولايات المتحدة الموجهة ضد إخوانهم في باكستان وأفغانستان . وكذلك غضبهم من سكوت الحكومة عن قيام الطائرات الأمريكية بقتل مئات الباكستانيين بحجة وجود مسلحي القاعدة بينهم . وكذلك العمليات التي يقوم بها الجيش الباكستاني ضد إخوانهم في سوات ومناطق القبائل خدمة للحملة الصليبية .

٥- **التأثير على الداخل الأفغاني** : حيث تعب كرزاي من دعوات الحوار مع الطالبان التي لاقت دائماً إما التجاهل غالباً أو الرفض أحياناً . لذا فإن اتفاقاً كهذا يجري في جوارهم . يأمل منه أن يحرك بعض القادة أو زعماء القبائل لعقد اتفاقات مماثلة مع حكومة كرزاي مقابل الحصول على وعود مماثلة . مما يؤدي إلى فتح خرق في الجبهة الطالبانية التي أظهرت حتى الآن قوة كبيرة في وجه محاولات كثيرة للشق قامت بها أطراف متنوعة من الأمريكان إلى عملائهم في أفغانستان أو البعيدين عنها كآل سعود . بل تسربت بعض الأخبار عن قيام بعض الأطراف المحسوبة على حركات إسلامية لشق الصف الطالباني تحت مزاعم التوسط بين الأفغان .

وتبقى لدينا بعض الأحداث ننتظر وقوعها كي نتأكد تماماً من حقيقة الاتفاق أهمها موقف أمريكا منه . فإن كانت هي التي ألغت الاتفاق السابق في أيار ٢٠٠٨ . فلماذا قد تقبل به الآن إن لم يكن جزءاً من مخططها المزمع تنفيذه في باكستان ؟

فإن بقيت وجهة نظر أمريكا وحلفاءها تحوم حول «القلق» من الاتفاق . فهذا يعني قطعاً توافق أمريكي - باكستاني على جدوى الاتفاق . بل يمكن اعتباره عندئذ تكتيكاً أمريكياً ماكراً في سياق استراتيجيتها لوقف الهزيمة في أفغانستان .

خاتمة :



آثار القصف الصليبي على بيوت المسلمين

قال صلى الله عليه وسلم : «**لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين**» .

لذا فإن على حركة تطبيق الشريعة أن تعي دروس الماضي جيداً لاسيما وأن الدرس الأخير على نقض الحكومة للعهود لم يمض عليه سنة واحدة (أيار ٢٠٠٨) . وليس من الصعب عليهم الآن وفي أي وقت أرادوا أن يعلنوا إلغاء الاتفاقية تحت أي مزاعم ويستأنفوا القتال ضد المجاهدين هناك في وقت ربما لا يكونون مستعدين له .

كما أنهم يجب أن يعوا أن معركتهم ومعركة إخوانهم الآخرين داخل باكستان أو في أفغانستان هي معركة واحدة ضد عدو واحد هو القوات الصليبية وعملاؤها في المنطقة .

ولا يغرنهم خروج الجيش الباكستاني من مناطقهم . فهو لن يخرج - إن خرج - إلا لقتال إخوانهم في المناطق الأخرى بعد أن يكون أمن ظهره من الانكشاف . فإن نجح في القضاء على المجاهدين في بقية المناطق فهو ولا شك عائد إلى سوات ليدمرها من جديد بعد أن يكون تفرغ لقتالهم فيحشد لهم كل ما لديه هو و حلفاؤه .

فالحذر الحذر .. فليس كل ما يلمع ذهباً .

وليعلموا أن الشريعة لا يمكن أن تستقر في بلد يحكمه طواغيت مرتدون.



بانتقال مفاتيح البيت الأبيض من جورج بوش الابن إلى باراك أوباما، ينتقل معه إرث أيديولوجي ميّز الولايات المتحدة ولا يمكن محوه بسهولة، وخيار سياسي أورث عداوات ومشكلات عويصة مع الحلفاء قبل الأعداء، واتجاه استراتيجي مدمّر أثمر خسائر معنوية ومادية هائلة فضلاً عن الفشل في تحقيق الغايات والأهداف، مع كل ما رافق ذلك من تعثر وارتباك في استخدام الوسائل والأدوات.

والخلاصة، أن بوش يسلّم أمريكا أكثر خوفاً وفقراً وقلقاً مما كان استلمها عليه من سلفه بيل كلينتون. وعلى أوباما، (وهذا هو التحدي الاستراتيجي الكبير)، أن يُعيد الثقة أولاً إلى الأمريكيين بأنفسهم وبلادهم ونظامهم السياسي، وأن يستعيد ثقة بقية العالم ثانياً، بحسن إدارة أمريكا للنظام الدولي وتوازناته وتحدياته المختلفة.

لذلك، فإن مهمتين أساسيتين تنتظران أوباما في الأربع سنوات المقبلة، ولا تقل إحداهما خطورة عن الثانية:

الأولى: إصلاح ما يمكن إصلاحه من البنية الاقتصادية والمالية المترهلة، كي يتمكن من احتواء آثار الأزمة المالية غير المسبوقة، قبل البدء بحملته الانتخابية بعد ثلاث سنوات تمهيداً للفوز بولاية رئاسية ثانية.
والثانية: الذهاب أبعد مما وضعته إدارة بوش كشعار أساسي وهو الحرب على الإرهاب، لتلاقي الإدارة الجديدة ما ترى أنها الجذور والأسباب والمكامن الحقيقية للإرهاب، معنوياً ومادياً، وسياسياً وعسكرياً.

لكن قبل محاولة كشف الخطوط العريضة لاستراتيجية أوباما في المدى المنظور، لا بد من تلمس قوى الضغط المختلفة والتأثيرات الفردية والجماعية والتي تتناحر وتتنافر وتتعارض وتتقاطع وتتفاعل فيما بينها لتخرج السياسة الخارجية من بين تلك العوامل بنسختها شبه النهائية القابلة للتعديل وفق الحاجة.

من يصنع السياسة؟

إن الدستور الأمريكي لا يذكر شيئاً عن السياسة الخارجية، لكنه يقرّر أنه لدى الرئيس صلاحية عقد المعاهدات مع البلدان الأخرى وتعيين السفراء في الخارج، بالتوافق مع الكونغرس، إضافة إلى استقبال السفراء. والرئيس هو القائد الأعلى للقوات المسلحة الأمر الذي يتيح له قدراً واسعاً من السيطرة على علاقات الولايات المتحدة مع العالم.
كما أن استخدام صلاحياته في أجزاء مختلفة من الإدارة، يمنحه هامشاً إضافياً، فضلاً عن أن العلاقات البيروقراطية مع حكومات العالم تمنح فكرة معينة عن كيفية صنع السياسة الخارجية.
رسمياً، يقود الرئيس السفينة، وللكونغرس دور الرقابة، وأحياناً يقوم بدور مباشر، مع أدوار محدودة للولايات والحكومات المحلية.
لكن بعض أهم الفاعلين في صياغة السياسة الخارجية، يقبعون خارج الحكومة، وهم: مراكز التفكير، والمنظمات غير الحكومية وأبرزها جماعات الضغط أو اللوبيات المصلحية والعرقية والدينية، ومن أهمها اللوبي اليهودي، بل أكثرها تأثيراً في السياسة الخارجية، وفي صياغة استراتيجيات القوة الأولى في العالم. وتضم تلك الجهات والمنظمات غالباً رؤساء سابقين وموظفين سابقين رفيعي المستوى، وهم لديهم مصالح أو معارف أو تأثيرات في الشؤون العالمية، والتي يمكن أن تمتد لأكثر من مدة ولاية أي رئيس.

أما مراكز القوى والنفوذ داخل الإدارة نفسها، فتختلف من عهد إلى آخر، وبحسب قوة الرئيس أو ضعفه، خبرته أو جهله، ذكائه أو غبائه، وكذلك نوع المساعدين والمستشارين الذين يحيطون به إحاطة السوار بالمعصم. فقد قيل الكثير عن هيمنة نائب الرئيس جورج بوش الأب على رئيسه رونالد ريغان، العديم الخبرة في الشؤون العالمية، بالقدر نفسه الذي يقال فيه -أقل من ذلك أو أكثر- عن تأثير ديك تشيني على بوش الابن، وللأسباب عينها، بل يستكشف المطلعون خطّ نفوذ موازياً يمتد من تشيني إلى وزير الدفاع السابق دونالد رامسفيلد

وعدد من مساعديه، وعبر مستشارة الأمن القومي سابقاً كوندوليسا رايس وصولاً إلى نواب وزير الخارجية ومساعديه ما جعل كولن باول في وضع لا يُحسد عليه على الإطلاق، قبل أن تحط رايس رحالها في وزارة الخارجية بدلاً منه. وهذا الخط الذي مثّل بدرجة أو بأخرى أيديولوجيات المحافظين الجدد، هو الذي تعرض إلى هزائم وفضائح طوال السنوات الثماني السالفة، ما أفسح المجال لبروز باراك أوباما كظاهرة سياسية استثنائية.

لقد صعد أوباما بسرعة، من بين صفوف الحزب الديمقراطي، متغلباً على هيلاري كلينتون بعد صراع محموم لأشهر طويلة، ومستحوذاً على تأييد رجالات الحزب ورموزه الكبار، فارضاً نفسه على الطبقة السياسية، ومستقطباً لحراك شعبي غير مسبوق، بواسطة خطابة بارعة، ووعود معسولة، ومستفيداً من ضيق مسترسل من بوش ورهطه.

لكن الغريب في فريق الإدارة الجديدة، أن أوباما الذي جاء بالسيناتور جوزف بايدن ليملأ ثغراته ويغطي سوءاته في السياسة الخارجية، وليكون كما كان تشيني لبوش الابن نائباً له ومشيراً عليه بتوجهاته الاستراتيجية، يأتي بخصيمته اللدودة، هيلاري كلينتون وزيرة للخارجية، والتي تعتبر مواقفها امتداداً لمواقف بوش إلى حد كبير، وهو ما يتناقض مع نصائح مستشار أوباما الأول زبغنيو بريجينسكي الاستراتيجي المحنك، والذي يرى أن مواقف كلينتون تقليدية في حين أن الموقف يحتاج إلى التجديد والإبداع. كما أبقى أوباما على بعض أركان الإدارة الجمهورية المهزومة مثل وزير الدفاع روبرت غيتس. أما رئيس موظفي البيت الأبيض راحام عمانوئيل، الناشط المعروف في أروقة الكونغرس، فهو رجل إسرائيل في البيت الأبيض حسب تعبير الصحافة الإسرائيلية. وإلى جانب ذلك يضم فريقه ليبراليين تدخليين كانوا موظفين سابقين في إدارة كلينتون، مثل وزيرة الخارجية السابقة مادلين أولبرايت، ووزير الدفاع السابق وليام بيري، والسيناتور السابق سام نان، وهم يعتقدون بأن للقوة العسكرية الأمريكية دوراً مركزياً في أمن العالم، ولا يخجلون من استخدام القوة الناعمة والقوة الخشنة، ومن ضمنها القوة العسكرية للتعامل مع المخاطر غير الفورية. وبعض أبرز مستشاريه، مثل سوزان رايس وأنتوني ليك (مستشار الأمن القومي أيام كلينتون) يؤيدون استخدام القوة العسكرية لأسباب إنسانية. وهكذا، يحاط بايدن بشخصيات قوية تقترب منه في الطرح وتتباعد عنه، علماً بأنه أيد بوش في شنه الحرب على العراق عام ٢٠٠٣، ثم ارتد عليه، مؤيداً فتح الحوار مع إيران وسوريا، وإنهاء أزمة العراق بتقسيمه بين الأكراد والسنة والشيعة.

الإدارة الجديدة إذاً هي تجمع أضداد إلى درجة كبيرة، يقصد منه أوباما تعدد الأصوات داخل الفريق الحاكم، بل تضارب الأيديولوجيات والمصالح، أثناء إدارته لأعقد الأزمات التي تعصف بأمريكا، على أمل أن يتمكن أخيراً من اتخاذ القرار النهائي، بأقل قدر من الانحراف لجهة دون أخرى.

عناصر استراتيجية

لكن هل يعني هذا أن أوباما لا يملك استراتيجية حقيقية، وإنما هي جملة من الشعارات الفضفاضة ذات الطابع الانتخابي المؤقت؟

يمكن تلخيص العناوين العامة للتغيرات التي صرّح أوباما باعتمادها أثناء الحملة الانتخابية، كما يلي:

- سحب القوات الأمريكية من العراق خلال ١٦ شهراً، وترددت أقاويل عن الإبقاء على قوات مقاتلة في العراق لمواجهة القاعدة أو نشر قوات خارج العراق وبالقرب منه للتدخل عند الحاجة.
- تعزيز الحرب على الجهاد عن طريق إرسال قوات إضافية إلى أفغانستان وتشديد الضغوط على باكستان، مع احتمال التدخل مباشرة في منطقة القبائل.
- فتح قنوات الحوار مع إيران وسوريا وكوبا، وعدم اللجوء إلى القوة العسكرية ضد إيران إلا بعد استنفاد كل الوسائل السلمية والعقوبات الاقتصادية والسياسية. وفي السياق، وعد إسرائيل بتقديم مظلة حماية ضد الأسلحة النووية لمنعها من توجيه ضربة لإيران دون إذن مسبق. وقد أبلغ اللوبي الصهيوني في أمريكا أنه سيفعل أي شيء لمنع إيران من صنع سلاح نووي، وأن الخيار العسكري سيبقى على الطاولة.
- وقف استخدام وسائل التعذيب ضد المعتقلين على الظن والشبهة، وإقفال معتقل غوانتنامو الذي أساء إلى أمريكا، وأضعف الحملة على الإرهاب.
- التعامل مع الإرهاب دون مبالغة أو إفراط، وإيلاء الاهتمام بالقدر نفسه للتحديات الأخرى والمخاطر العالمية، مثل الفقر والأوبئة والتغير المناخي.
- الحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل، والسعي لجعل العالم خالياً من الأسلحة النووية.
- اعتماد التوافق بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي في اتخاذ القرارات، كما كان الحال في الحرب الباردة وخلال تسعينات القرن العشرين، بعد سقوط الاتحاد السوفييتي.

ورغم أن الأولوية الأولى ستكون لمعالجة الوضع الاقتصادي، فإن أوباما وعد خلال الحملة الانتخابية بزيادة الإنفاق العسكري، وتوسيع حجم قوات المارينز، والاعتناء بالقوات الخاصة، وتوسيع قدرة الأجهزة الاستخبارية، والحفاظ على مئات القواعد المنتشرة في أنحاء الأرض، وتعزيز قوات الحلفاء ومنها توسيع حلف الأطلسي وضم أوكرانيا وجورجيا إليه. وفي خطاب ألقاه أوباما في جامعة شيكاغو دعا إلى «بناء جيش القرن الواحد والعشرين للبقاء في وضع الهجوم من جيبوتي إلى قندهار». كما أبدى اهتمامه بتعزيز قدرات التدخل العسكري، عن طريق زيادة عدد الطائرات، ورفع قدرات الحرب الإلكترونية

وبناء مزيد من طائرات الشحن c-١٧، وطائرات التزويد بالوقود في الجو، وتقوية القوات البحرية لحماية إمدادات النفط.
ورغـم أن أوباما أعلن أنه ضد فرض الديمقراطية في الخارج، إلا أنه اقترح برنامجاً للمسـاعدة في إعـادة بناء الدول والترويج للديمقراطية، وبناء جهاز مدني عسكري، مهمته إنقاذ الدول الفاشلة في إفريقيا وآسيا والشرق الأوسط، وإعادة بنائها.



وينوي أوباما مضاعفة المساعدات الخارجية إلى ٥٠ مليار دولار سـنوياً، عام ٢٠١٢، والاسـتثمار في التنمية والبنية التحتية للـدول النامية، والعمل على بنية صحيـة عالمية عام ٢٠٢٠، لمكافحـة الأمراض المعديـة، مع بناء صنـدوق تعليمي عالمي بقيمة ملياري دولار، وما يسـمى بفرق تنمية متجولة مكونة مـن الجيـش والبنتاغـون ووزارة الخارجيـة ووصنـدوق الدعم الأمريكي، لتنسـيق عمليـات مكافحة الإرهـاب وبناء الدول وعمليات ما بعد انتهاء الصراع. وسينشـئ أيضاً هيئة أخرى مـن منظمات خـارج نطـاق البنتاغون أي مـن وزارة الخارجية والأمن الوطني والعدل والمالية.

وتكشف مستشارة أوباما للشؤون الخارجية، والتي أصبحت بعـد فوزه مندوبـة أمريكا في الأمم المتحدة، سـوزان رايس، أن أمريكا سـتقدم المسـاعدة لدول ضعيفة ولم تصل بعد إلى مرحلة الفشـل. «وبخلاف السـعودية ومصر اللذين يقاومان بقوة التغيير السياسي، فإن بلداً مثل نيجيريا يمكن أن يتقبل مبدأ الديمقراطية، كما يمكن لأمريكا أن تدعم قيام المؤسسات الديمقراطيـة فيه: برلمان يحاسـب السـلطة، وصحافة حرة، ومؤسسـات العدالـة المدنية. وحتى في مصر وروسـيا يمكن دعم المنشـقين على النظام واتخاذ خطـوات أخرى». وكانت رايس وليك قد كتبا عام ٢٠٠٦ في الواشنطن بوست، يطلبان قصفاً بالطائرات أو حصاراً بحرياً أو تدخلاً عسـكرياً مباشراً في السودان لوقف القتل في إقليم دارفور.

آراء بريجينسكي:

في نيسان/أبريل ٢٠٠٧، أعلن أوباما في كلمة له أمام مجلس شيكاغو للشؤون العالمية أن «أمريكا يجب أن تقود العالم». وهـو صدى على ما يبـدو لما كتبه زبغنيو بريجينسـكي عام ٢٠٠٥، تحـت عنـوان «الاختيار، الهيمنـة العالميـة أو القيادة العالمية».
في هذا الكتاب، يقول بريجينسـكي: «إن الهيمنة الأمريكية العالميـة هي واقع حياة. لا أحد بما فيهـم أمريكا، يملك الخيار. بـل سـتعرّض أمريـكا وجودها للخطـر إن هـي فعلت كما فعلـت الصين قبل ٥٠٠ عام، حين قـررت الانعزال عن العالم. وبالعكـس، فإن أمريكا ليسـت قادرة على عزل نفسـها عن الفوضى العالمية التي يمكن أن تنشب سريعاً عقب انسحابها من الميدان».
ويؤكد بريجينسكي أن الهيمنة هي «مرحلة تاريخية مؤقتة وقصيـرة، وإن الهيمنة الأمريكية ستنحسـر يومـاً ما، لكن ليس قريباً. لكن على الأمريكيين أن يصيغوا شكل هيمنتهم، والخيـارات الحقيقيـة هي كيـف يجب على أمريـكا أن تمارس هيمنتهـا، ومع من يجب أن تشـارك تلك الهيمنة، ولتحقيق أي أهداف نهائية؟ وما هو الغرض الرئيسـي للقوة الأمريكية غير المسـبوقة؟ إن الجواب سـوف يحـدد مـا إذا كان التوافق الدولي سيشـرّع الهيمنة الأمريكية ويعززها أم على التفوق الأمريكي أن يثبت نفسـه اعتماداً على القوة بشكل واسع».

ويقـرّ بريجينسـكي بـأن المنظمات غيـر الحكوميـة (ومنها القاعدة) ازدادت قوتها في عصر العولمة، لذلك يجب أن يكون أمن الشعب الأمريكي هو الهدف الأول للسياسة الأمريكية العالميـة، لكـن الأمن القومـي وحده هو أمر مسـتحيل من دون دعـم عالمي. ويقول: «خرجت أمريـكا منتصرة بعد الحرب الباردة، أي قوة عظمى إيجابية، لكن بعد عقد من الزمن باتت قوة عظمى سـلبية. إذ بعد غزو العراق، حدث تناقض محير، فلم تكن المصداقية العسـكرية بأعلى مما كانت عليه، لكن المصداقية السياسية لم تكن أدنى مما أصبحت عليه، بسبب كذبـة أسـلحة الدمار الشـامل. وإن الأكثر أهميـة الآن، هو كيف تحدّد أمريكا لنفسـها ولبقية العالم، الأهداف المركزية لهيمنتها، وعلى هذا التعريف أن يصيغ التحدي الاستراتيجي الـذي تواجهه أمريكا، وضد من تريـد تحريك العالم. وبقدر ما تمارس أمريكا هيمنتها في العالم بالوضوح والقوة الأخلاقية، وبقدر ما تتفهم حاجات وتطلعات الآخرين، فإنها تتمكن من توفير الأمن وتحقيق الأهداف».

أما سبب انحيازه إلى باراك أوباما فلأنه يرى فيه فرصة نادرة لتحويل الحماسة العارمة التي رافقت حملته الانتخابية إلى سياسات ملموسة، ولأن الموقف يتطلب شخصاً مثله قادراً على التغيير والتجديد.

وفي مواجهة القضايا الساخنة التي تنتظر الإدارة الجديدة، يطالب بريجينسكي على صعيد السلام الإسرائيلي الفلسطيني بإطلاق مبادرة لكسر الجمود، على أن ترتكز على أربع مبادئ:

- التخلي الفلسطيني عن حق العودة.
- الالتزام الإسرائيلي بتقاسم القدس مع الفلسطينيين.
- اعتماد خط الحدود لعام ١٩٦٧ حدوداً نهائية.
- قيام دولة فلسطينية منزوعة السلاح.



ومن جهة أخرى ذات صلة، أيد بريجينسكي انتشار قوات حلف الأطلسي في فلسطين حيث سيكون لها دور أساسي في طمأنة الإسرائيليين، على أن لا يكون هدفها مكافحة الإرهاب.

وبالنسبة للعراق، قال بريجينسكي في شهادة أمام الكونغرس: «ما هو مطلوب بإلحاح استحداث إطار سياسي لحل كل المشكلات الناجمة عن احتلال العراق، إنهاء الاحتلال وإقامة حوار إقليمي أمني يعزز الأهداف الاستراتيجية، وهو ما يتطلب وقتاً والتزاماً أمريكياً حقيقياً، ولذلك:

- يجب على الولايات المتحدة إعادة التأكيد بصراحة ودون غموض عزمها على مغادرة العراق في فترة زمنية معقولة.
- أن تقوم بمباحثات مع الزعماء العراقيين كي يحددوا معاً زمن الانسحاب، وأن يعلن تاريخ الانسحاب بقرار جماعي. وفي الأثناء، تتجنب القوات الأمريكية أي تصعيد في عملياتها العسكرية. وأن تكون المباحثات مع الزعماء العراقيين الحقيقيين خارج المنطقة الخضراء المحمية الأمريكية.
- دعوة كل جيران العراق وبعض الدول الإسلامية مثل مصر والمغرب والجزائر وباكستان للدخول في حوار حول أفضل السبل لتحقيق الاستقرار في العراق بالتزامن مع الانسحاب الأمريكي.

واعتبر بريجينسكي أن إيران وسوريا لم يقدما مساعدة للأمريكيين في العراق لأنهما لم يكونا يرغبان بمساندة قوة احتلال تتحول إلى قوة إقليمية دائمة.

إن حرب العراق برأيه «هي حدث تاريخي واستراتيجي وأخلاقي ضار جرى تحت افتراضات خاطئة، وهو ما يقوض الشرعية العالمية للولايات المتحدة، ويدمر مصاديقها الأخلاقية، كما أن التناقض والازدواجية والتعجرف الإمبراطوري يثير الاضطراب الإقليمي. وإن استمرار التورط الأمريكي في صراع دموي طويل الأمد في العراق سيؤدي إلى صراع مباشر مع إيران ومعظم العالم الإسلامي».

أما إيران، فدعا بريجينسكي إلى التعامل معها بصبر استراتيجي، منوهاً بدور ممكن للصين في إيران شبيه بدورها في احتواء خطر كوريا الشمالية، كما يمكن أن يكون لروسيا دور في هذا المجال، لأنه ليس للصين ولروسيا مصلحة في نشوب صراع مع إيران.

ودحض بريجينسكي ما رأى أنها «الرواية الأسطورية الجاهزة لشن الحرب على إيران، كما كانت أسلحة الدمار الشامل في العراق، حتى إن حرب العراق أعيد تعريفها بعد سقوط الذرائع، لتصبح (الصراع الأيديولوجي الحاسم) في زمننا كما كان الصراع منتصف القرن العشرين مع النازية ثم مع الستالينية، وهذا نوع من التبسيطية والديماغوجية».

ويقلل بريجينسكي من الخطر الإيراني فيقول: «إن إيران ولو حققت بعض النفوذ الإقليمي بسبب الحرب في أفغانستان والعراق، إلا أنها منقسمة سياسياً، وضعيفة اقتصادياً وعسكرياً، وإن الاحتجاج بأن أمريكا راهناً في حرب في المنطقة مع أوسع تهديد إسلامي، حيث تقع إيران في القلب، هو ترويج لنبوءة ذاتية. لقد اعتمدت السياسة الخارجية في الشرق الأوسط، على هكذا شعارات، مثل (الإطار الاستراتيجي الجديد) و(الشرق الأوسط الجديد)، وهو ما يثير العداء ويعمق خطر صدام طويل بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي. وإن الدبلوماسية الخارجية تجاه إيران تذكر بسياسة جون فوستر دالاس في الخمسينات إزاء زعماء الصين (القطيعة)».

وأكد أخيراً «أن إسرائيل ستتضرّ بعلاقاتها مع الولايات المتحدة إذا هي أصرت على استخدام نفوذ اللوبي في واشنطن من أجل توجيه ضربة لإيران». وقال: «لا أعتقد أن أمريكا ستهاجم إيران، وإذا هاجمتها فستكون العواقب كارثية، وإذا هاجمت

إســرائيل إيران فلن تتمكن من إصابة كل منشــآتها النووية، وأفضــل ما يمكن أن تحققه هو تأخير المشــروع النووي الإيراني وتصليب الاتجاه المتشــدد في إيران. وعلى هذا، فالهجوم ليس خيــاراً حقيقياً لا للولايــات المتحدة ولا لإســرائيل، ولن تكون الضربة فعالة من دون إذن أمريكا».

قوة ذكية



إذاً كيف يمكن بعد ذلك تحديد الاســتراتيجية المقبلة للرئيس الجديــد؟ هل هــي انتقال جذري نحــو أقصى اليســار؟ أم هو تلطيف لخيارات اليمين والتقرب من الوسط؟

إن أفضل وصف لها يمكن استنباطه من التقرير الاستراتيجي الذي أصدره مركز الدراســات الاستراتيجية والدولية في عام ٢٠٠٧، تحــت عنــوان «أمريكا أذكــى وأكثر أمنــاً»، حيث يدعو التقرير الرئيس الجديد إلى اعتماد اســتراتيجية جديدة تقوم علــى المزج بين القوة الخشــنة والقوة الناعمة، أو ما يســمى بالقوة الذكية.

«إن القوة الخشنة تقضي باستخدام الجزرة والعصا مع الدول لتحقيق المرغوب منها. وتتمثل القوة تاريخياً بعدد الســكان ومســاحة الأرض والثــروات الطبيعيــة والقــدرة الاقتصادية والقوة العســكرية والاســتقرار الاجتماعي. وما تزال الولايات المتحــدة تملك الاقتصاد الأكبر، ولها أكثر من ثلث الشــركات الكبرى الـ٥٠٠، ولا توجد قوة عالمية أخرى كــي تنافسها. لكن القوة الخشنة لأمريكا لا تترجم دائماً إلى نفوذ. وإن فعالية أي قوة ترتبط أولاً بالإطار الذي توجد فيه، ومصادر القوة تتغير مع الوقت. ورغم التطورات التكنولوجية التي جعلت الأســلحة أكثر دقة وأكثر تدميراً، لكن استخدام القوة العسكرية يزيد من الكلفة السياســية والاجتماعيــة. وإذا كانت تكنولوجيا الاتصــالات الحديثــة قد خفضت مــن ضبابية الحــرب لكنها بالمقابل رفعت من الوعي السياســي. وهذه الاتجاهات الحديثة جعلــت القوة الخشــنة أقل ملموســية وأثرها أقــل فعالية. وإذا كان ميكافيللــي قد قــال مرة: إنه مــن الأفضل أن تكون مهابــاً مــن أن تكون محبوبــاً، لكن في عصــر المعلومات من الأفضل أن تكون الاثنين معاً.

أما القوة الناعمة، فهي القدرة على اجتذاب الناس إلى جانب أمريكا دون إجبار، وتقع المشروعية في قلب القوة الناعمة، فإذا اعتقد شــعب أو أمة ما أن الأهداف الأمريكية مشروعة، فمن المرجح إقناعهم لاتباع القيادة الأمريكية دون استخدام تهديدات أو رشاوى. وهذه المشروعية تخفف حجم المعارضة والتكاليف لدى استخدام القوة الخشــنة، عندما يقتضي الوضع ذلك».

ويضيف التقرير: «إن طبيعة الصراع تغيرت اليوم، بما فيه حرب العــراق والصراع ضد القاعدة. ففي الصراع التقليدي، عندما ينهزم العدو عسكرياً، فمن المرجح أن ينحاز إلى السلم، لكن كثيراً مــن المنظمات التي تحاربها أمريكا لا تســيطر على أي أرض وتملــك موجودات قليلة، وتنتج قادة جدداً كلما قتل قائد منها، لذلك فإن النصر التقليدي لم يعد ممكناً تحديده.

إن الجيــوش أدوات ملائمــة جداً لإلحاق الهزيمــة بالدول، لكنها غالباً أدوات سيئة لمكافحة الأفكار».

ويتوصــل الخبراء إلــى التأكيد بأن «ســمعة أمريكا وموقعها ونفوذها فــي العالم، تؤثر على أمــن الأمريكيين ورفاهيتهم، وإن تدهور مكانــة أمريكا في العالم، يزيد من صعوبة تحقيق الأهــداف. فالنظــرة المتدنية تجــاه أمريكا غير مســبوقة في التاريخ، وليس متأخراً قلب المســار، حتى فــي العالم العربي والإســلامي. وهذا يتطلب اســتراتيجية توازن بين اســتخدام القوة الخشــنة والقوة الناعمة، ما يجعــل كل هذه العناصر فــي مقاربة ذكية للتحديات الرئيســية التــي تواجه أمريكا والمجتمع الدولي».

إن حرب العراق حســب التقرير هي عامل رئيســي في تدهور مكانة أمريكا، لكن ثمة عوامل خمسة أسهمت بمجموعها في إنتاج الحالة المزرية وهي:

- موقع أمريكا كقوة عظمى وحيدة بعد الحرب الباردة وسقوط الاتحاد الســوفييتي، إذ أدى الحدث بحــد ذاته إلى تراجع مكانة أمريكا، لا ســيما بين الحلفاء الذين لم يعودوا يتطلعون إليها كقوة ردع وحماية.

- ردة الفعل على العولمة التي بدّلت أموراً كثيرة في الاقتصاد العالمــي، وباتت بنظــر العالم أمريــكا الراعــي الأول لعملية انتشــار العولمة وأصبحت اســتطراداً الطــرف الملام على كل الكوارث التي أصابت قطاعات واسعة.

- تخلي أمريكا عن المؤسسات والاتفاقيات ذات التأييد العالمي الواســع، ومن دون اقتراح بدائــل مقنعة، مثل برتوكول كيوتو للتغير المناخي ومعاهــدة المحكمة الجنائية الدولية، ومعاهدة

حقوق الطفل، ومعاهدة حظر استخدام الألغام.

- الرد الأهوج على هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، عبر أساليب غير قانونية مثل تصنيف المقاتلين الأعداء والسجون السرية وأساليب الاعتقال والتعذيب، وفضائح غوانتنامو وأبو غريب.

- عدم الكفاءة، حيث ظل العالم ينظر إلى أمريكا خلال الحرب الباردة، وما بعدها، على أنها ذات كفاءة تقنية عالية، وأنه بمقدورها حلّ أي مشكلة تقنية، لكن الفشل الذريع في مواجهة آثار إعصار كاترينا، والفشل الذي سبقه في إعادة النظام وتعمير العراق، أشاع الانطباع المختلف بأن أمريكا فقدت شيئاً من ميزتها على هذا الصعيد.



ويرى التقرير أخيراً أن على أمريكا التركيز على خمس مجالات حساسة:

- تجديد التحالفات والشراكات والمؤسسات التي تخدم المصالح في القرن الحالي.

- تعزيز دور السياسة الخارجية في مواءمة مصالحها مع تطلعات الناس في كل مكان من العالم.

- اجتذاب الشعوب الأخرى إلى جانب أمريكا من خلال تعزيز العلاقات معها ولا سيما الشباب منهم.

- الاستمرار في التعامل بإيجابية مع الاقتصاد العالمي بما هو ضرورة للنمو والرفاهية لكل الناس في الداخل والخارج.

- أمن الطاقة والتغير المناخي يتطلبان قيادة أمريكية لتأسيس وفاق عالمي وابتكار حلول للمشكلات.

الخلاصة

إن باراك أوباما تسلق سلّم السلطة، بناء على تململ شعبي من حرب العراق خاصة، لكنه فوجئ أثناء حملته الانتخابية بانفجار الأزمة المالية الهائلة، وهو ما سيؤثر بالتأكيد على أولوياته الاستراتيجية، في الولاية الأولى. ويعني ذلك، أن شعارات حملته الانتخابية، فضلاً عن عناوين الاستراتيجية الجديدة، هي ذات طابع انفعالي، غير مستندة إلى رؤية أيديولوجية محكمة، على غرار أيديولوجيا المحافظين الجدد. وإن ما تحمله رؤاه التجديدية من محاولة استعادة مكانة أمريكا في العالم، إنما تتسم بعمومية تحتمل استخدام كل الأساليب والأدوات، ولا تنحصر بمجالات القوة الخشنة أي القوة العسكرية حصراً لتحقيق الأهداف.

ولعل ما يبوح به جمع المتناقضات في تشكيلة الإدارة الجديدة، أن أوباما ليس بصدد برنامج واضح المعالم والمراحل في مواجهة القاعدة، ذلك أن انتقال ثقل المعركة إلى أفغانستان حدث في الأشهر الأخيرة من ولاية بوش، كما تمكنت الإدارة الراحلة أخيراً من انتزاع التوقيع العراقي على المعاهدة الأمنية والتي تحدد أفق الانسحاب بعد ٣ سنوات، ما يعني تفريغ فكرة أوباما بالانسحاب بعد ١٦ شهراً من معناها السياسي والميداني، لا سيما وأن الانسحاب الفوري والكامل يحتاج أكثر من ذلك، بسبب ضخامة الترتيبات اللوجيستية المطلوب إنجازها قبل سحب الوحدات. أما تعزيز القدرة القتالية لأمريكا حول كابل، ومحاولة إنشاء صحوات أفغانية، فهو تكرار لسيناريو العراق بعد استلام الجنرال ديفيد باتريوس لقيادة المنطقة الوسطى. ولن يتمكن أوباما من إحداث خرق ما في المسار الفلسطيني الإسرائيلي، بوجود هيلاري كلينتون في وزارة الخارجية وهي المنقادة تماماً لتوجيهات اللوبي اليهودي في واشنطن. كما أن الموقف من إيران سيشوبه الغموض لفترة. وبما أن بوش لم يتمكن خلال ولايته الثانية من تسويق استراتيجية الضربة الماحقة، بسبب اعتراض الجيش والمارينز والأجهزة الاستخبارية، فلن يكون أوباما قادراً في المدى المنظور على كسب التأييد الشعبي لحرب جديدة، وهو جاء على صهوة الغضب من حرب العراق، وما زال متورطاً في غمار حرب تتأجج بقوة في أفغانستان وباكستان. والأهم من ذلك كله، أن الأزمة المالية تعرقل كل مشاريع التوسع في أي حرب أو خوض مغامرات جديدة، بل باتت هي العنوان الرئيسي للتحديات الكثيرة التي تواجه أوباما، والتي لا تنفع معها بلاغة الخطاب ولا كاريزما الرئيس.





ارتبط اسم (النظام السعودي) بالجهاد في بعض الثغور، وبطبيعة الحال لم يكن هذا الارتباط بالجهاد هو للمشاركة فيه أو المساهمة الفاعلة في وصول المجاهدين للنصر على أعدائهم , و لكن التوصيف الحقيقي الواقعي له هو أنه يقوم بتوظيف الجهود الشعبية المباركة من أبناء بلاد الحرمين في خدمة مصالحه قدر الإمكان , فإن لم يمكن ذلك استطاع - بسهولة - إيجاد الأعذار المناسبة لإيقاف هذه الجهود و تجميدها .

و قد يبدو للناظر أن هذا أمر طبيعي و لا غضاضة فيه , فالعاقل هو من لا يفعل ما يُضر بمصالحه , و هذه النظرة - في الحقيقة - هي في غاية السذاجة إذا علمنا أن هذه المصالح عائدة لصالح أشخاص و ذوات معينين و هي ضد المصلحة العامة للمجتمع المسلم و للأمة جمعاء , و بالتالي فالعمل لأجل تلك المصالح أقل ما يقال عنه هو خيانة للمجتمع و للأمة ؛ لأنهم سيطروا على قراراتها و مقدراتها فكان واجباً العمل لصالح المجتمع و ليس العمل للمصالح الشخصية .

و لذلك لما كان إسقاط الاتحاد السوفييتي - عندما احتلت قواته أفغانستان - هو ذو أهمية أمريكية فهو عندئذ ذو أهمية سعودية , لأن النظام السعودي كما يعلم الجميع , قد ارتبط في فترة ماضية بالإمبراطورية البريطانية و مع انتهاء الحرب العالمية الثانية , خرجت الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى على حساب (المملكة المتحدة) - و هو ما يفسر تسمية النظام بـ (المملكة العربية) - فورثت أمريكا مناطق النفوذ البريطانية و منها (النظام السعودي) و يتبين هذا بالمراسلات المنشورة و المشهورة بين رؤساء البلدين منذ ذلك الوقت و إلى اليوم .

إذا عُلم هذا لم يكن غريباً أن يعلن النظام الصليبي الأمريكي أن النظام السعودي (حليف قوي) و (صديق حميم) و بالتالي: لم يكن مستغرباً التسهيل الشديد للجهود الشعبية في نصرة المجاهدين في أفغانستان بالمال و النفوس , و لم يكن مستغرباً - أيضاً - أن يتم منع تلك الجهود لما حلت القوات الأمريكية بدل القوات السوفييتية بل و ملاحقة أي جهد و تجريمه غاية الإجرام .

و لن يعدم - النظام - من الفتاوى المؤيدة لكل ما يفعله (ولي الأمر) و الذي كما هو واضح لكل منصف و عاقل أنه لا يسعى إلا لمصلحته الذاتية و التي تكمن في البقاء على كرسي الرئاسة , و لا يسعى لمصلحة الإسلام و المسلمين إلا بقدر ما يصب في المصلحة الأولى .

هذه الإضاءة السريعة تكشف لنا جزءاً مما يسميه المجاهدون الذين اكتووا بشيء من لهيبه , بـ (الدور السعودي القذر) في أفغانستان و غيرها , إذ استغلت الجهود الشعبية لمراقبة ذوي التوجه الجهادي و جُعلت بعض هذه الجهود لتغطية بعض الأنشطة السعودية التي كانت تسعى في إفشال أن يحقق الجهاد ثمرة يقطفها المجاهدون كما كان يريد الأمريكيون .

و عند معرفة هذه الخلفية التاريخية المهمة يتبين لنا شيء من أسرار القوائم الأربع التي أصدرها النظام السعودي، و ذلك خلال (سبع سنوات) فقط , بعد غزو جيوش الحملة الصليبية لأفغانستان .

بدأت هذه القوائم من (١٩) مطلوباً و انتهت حتى هذه اللحظة إلى (٨٥), بحيث يكون مجموع المطلوبين ١٦٦ شخصاً , يعتبرهم النظام السعودي (إرهابيين) و من أصحاب (الفكر الضال) و الفكر (التكفيري المنحرف) و أنهم يشكلون خطورة أمنية لزعزعة أمن المجتمع و استقرار الدولة .

لمحة سريعة عن القوائم السابقة

• في يوم ١٤٢٤/٣/٦ صدرت قائمة تضم ١٩ مطلوب أمنياً كلهم تقريباً ممن سبق لهم المشاركة في أفغانستان في جهاد الشيوعيين , مما دفع بعض المطلوبين كالشيخ يوسف العييري - رحمه الله - و علي الفقعسي - فك الله أسره -

بإصدار بيانات تكذيب للتهم التي وُجّهت إليهم. وتبيان أن هذه القائمة إنما صدرت لتصفية المجاهدين العائدين من أفغانستان تلبية للمطالب الصليبية العالمية , خصوصاً و أن البيان جاء إثر مطاردة لبعض الأشخاص في إحدى السيارات , ثم بعد ذلك بساعات يصدر هذا العدد الكبير من الأسماء مع أن بعضهم لا يعرف بعضاً ! .



ضا بط سعودي مشارك في الحملة الصليبية على المسلمين

و يلاحظ في مصطلحات و ألفاظ البيان الذي صدر من وزارة الداخلية السعودية أن هؤلاء هم (إرهابيون) عازمون (على القيام بأعمال تخريبية كبيرة) و (أعمال إرهابية مدمرة) - على حد تعبير البيان - و أن هؤلاء يشكلون (خطورة أمنية).
و قد تم تخصيص رقم للإبلاغ عنهم , و قد جاء في لقاء مع وزير الداخلية السعودي بعد صدور البيان أن هناك مكافأة لمن يدل على أحد المطلوبين لا تقل عن (٢٠٠ ألف - ٣٠٠ ألف ريال سعودي) و أن أي معلومة تفيد التحقيق لها مكافأة لا تقل عن (٤٠ ألف - ٥٠ ألف ريال سعودي) .
و الجدير بالذكر أن البيان لم يطالب هؤلاء المطلوبين لتسليم أنفسهم بل اكتفى بضرورة الإبلاغ عنهم من المواطنين و المقيمين .

• و في يوم ١٤٢٤/١٠/١٢ أي بعد قرابة السبعة أشهر من القائمة الأولى صدرت قائمة الـ (٢٦) و قد ضمت ٦ مطلوبين من القائمة السابقة ممن لم يستطع النظام السعودي القضاء أو القبض عليهم .
و قد كان البيان هذه المرة يحمل قدراً من الثقة و الاعتزاز بالقوة و الإنجاز الذي تحققه أجهزة الحكومة مما جعل البيان يدعو المطلوبين في البداية إلى (تسليم أنفسهم إلى الجهات الأمنية) , و نص البيان على أن من تثبت إدانته (فسوف يعامل وفقا لما تقضي به أحكام شريعتنا) و وصفها البيان بـ (الإسلامية السمحة).
و قد تم إدراج المكافآت في نفس البيان - بخلاف القائمة السابقة - و تصل إلى سبعة ملايين عند إحباط ما أسماه البيان بـ (عملية إرهابية) , و ٥ ملايين عندما يؤدي البلاغ لتفكيك (خلية إرهابية) و مليون ريال سعودي على رأس كل مطلوب من القائمة .

• في يوم ١٤٢٦/٥/٢١ صدرت قائمة الـ (٣٦) و تحوي ١٥ شخصاً يوجدون داخل الأراضي السعودية و البقية الـ ٢١ هم خارجها, و الجدير بالذكر أن بعض المطلوبين في القائمة السابقة لم يضافوا إلى هذه القائمة مع أنهم لا زالوا أحراراً و على قيد الحياة .
و قد كان البيان بأسلوب جديد و يحوي مصطلحات مستحدثة ودقيقة للغاية, يوحي للمطلع أن الأمر قد تعدى من كون المطلوب أمنياً يشكل خطورة على النظام , إلى كون مُصدر القائمة يريد تحقيق أهداف أخرى .
فقد تحول الأمر من كونهم مجرد (إرهابيين) و (مطلوبين أمنياً) إلى كونهم: (فئة ضالة) و أنهم أصبحوا مجرد (أداة لتشويه الإسلام) و هدف هذه الفئة الضالة هو العبث (بأمن البلد الحرام وانتهاك حرمات الآمنين) منطلقين من «أفكار منحرفة» و بالتالي فقد (أوقعهم الله في شر أعمالهم ... و رد الله كيدهم في نحورهم و تهاوت أوكارهم الواحد تلو الآخر) على حسب زعم البيان .
و قد دعاهم البيان لتسليم أنفسهم و قام بالتذكير بالمكافآت المغرية لمن يدلي بمعلومة عنهم .

• في يوم ١٤٣٠/٢/٧ أصدرت الحكومة السعودية قائمة تضم (٨٥) مطلوباً أمنياً كلهم خارج الأراضي السعودية .
و قد كان بين القائمتين بيانات عديدة يعلن فيها النظام السعودي القبض على أشخاص ينتمون لـ (الفكر الضال) بلغت الأعداد في آخر بيان أكثر من ٧٠٠ شخص تم إلقاء القبض عليهم .

و لوحظ في بيان إعلان القائمة الأخيرة أن النظام السعودي لخص منجزاته قبل الإعلان عن هذا العدد الضخم , في إشارة إلى أن النظام السعودي يريد زحزحة الأنظار عن هذه الأعداد التي تتزايد بعد كل فترة , و ليبعد عن نفسه الحرج من سبب تزايد المنضمين لركب (الفئة الضالة) مع كل هذه الحرب العسكرية و الإعلامية و الفكرية , حيث أشار إلى أن (المجتمع السعودي المسلم) قد صار مدركاً لحقيقة أفكار هؤلاء «المفسدين في الأرض» و «المحاربين لله و رسوله» على حد وصف البيان .
مستدلاً بوجود هؤلاء المطلوبين خارج (الأرض الطاهرة) ,

و كونها كذلك لخلوها مما يساعد أو يتعاطف مع أصحاب الفكر «التكفيري المنحرف» .
و بعد أن أكد البيان أن الصورة واضحة للمجتمع المسلم و لا تخفى عليه حقيقة هذه الأفكار الضالة , و رجع البيان للإجابة على السؤال الذي يدور في أذهان كثير من الناس عن سبب استمرار هذه الأفكار الضالة التكفيرية المنحرفة مع اتضاحها «لكل ذي لب» ! و سبب محاولة هؤلاء المطلوبين «النيل من وطنهم و أهلهم» .
ليكون الجواب أن السبب هو في استماعهم و تأثرهم بـ «رموز الفتنة» و التي حددها وزير الداخلية السعودي في لقاء بمناسبة خروج القائمة الـ (٣٦) بأن الشيخين عبد الله عزام و أيمن الظواهري هما الأب الروحي لـ (الفئة الضالة) .



الشيخ المجاهد / أسامة بن لادن حفظه الله

وقال البيان أن رموز الفتنة يستغلون (العاطفة الدينية لأبناء هذا البلد) لتصب في (نهجهم الخياني) ليكونوا بذلك أعداء للعقيدة (السمحاء) و لسنة النبي - صلى الله عليه و سلم - و أنهم أيضاً جعلوا (أبناء الوطن في أيدي السماسرة) ليقتلوا في مناطق (الصراع و الفتنة) و مناطق الصراع التي يقصدها البيان و يصفها بالفتنة , هي مناطق الصراع بين الصليبية العالمية متمثلة في أمريكا و حلفائها و بين أهل الإسلام الذين يمثلهم أبناؤهم المجاهدون في العراق و أفغانستان .

و ذكر البيان نماذج لما أسماهم بـ (المغرر بهم) و أنهم سلموا أنفسهم و عادوا لحياتهم الطبيعية .

و يلاحظ بوضوح في هذا البيان المرارة التي يشعر بها النظام السعودي جراء عدم قدرته على القضاء على هؤلاء , و الذين يتكاثرون بشكل عجيب , فمع كل ما بذله النظام من ترغيب و ترهيب و تخفيف و غير ذلك من إجراءات , إلا أن (الفكر الضال - المنحرف - التكفيري - الإرهابي ..) لا زال في نمو و تكاثر !.

فلم يكن مستغرباً أن يصب كاتب البيان جام غضبه عليهم و يصفهم بأبشع الأوصاف و بشكل لم يرد في البيانات السابقة كما رأينا في قوله:
فهؤلاء جعل الواحد منهم نفسه : ١- «أداة في أيدي أعداء الملة والوطن «. ٢- «لا يملك من أمره شيئاً «. ٣- «في انتظار ما يوحي إليه به شياطين الإنس ليقدم على عمل دنيء ينال به من أهله ووطنه».
فتكرار معاني من مثل (أعداء الملة) , و (محاربون لله و رسوله) , و (شياطين الإنس) , و غيرها تدل على مدى العجز و الحيرة و الغضب الشديد من عدم قدرة النظام على السيطرة على هؤلاء ! مع تسخيره لكل وسائل الإعلام و رجال الدين الرسميين و غيرهم في محاربة هؤلاء .

قائمة الـ (٨٥)

نستطيع القول بأن القائمة لا تعدو كونها أحد أمرين :
١- رد فعل سريع من قِبل نائب وزير الداخلية السعودي الوضيع / محمد بن نايف تجاه خروج الإصدار المرئي : من هنا نبدأ و في الأقصى نلتقي , و إعلان توحد تنظيم القاعدة في جزيرة العرب .
٢- أنه مخطط مسبق لجعل كل من يخرج للجهاد في العراق و أفغانستان مطلوباً يستحق المخبر عن مكان تواجده بما يؤدي للقبض عليه : مليون ريال سعودي ! و ذلك لمنع المدد الجهادي المتصاعد و الذي لا زال شوكة في حلق أمريكا لا تستطيع فعل أي شيء حياله فكانت هذه القائمة استجابة للتوجيهات الأمريكية .

و عند التأمل .. نجد تحقق هذين الأمرين بالفعل , فهو رد فعل غاضب و سريع , و لذلك رأينا كيف صب كاتب البيان حمم غضبه بألفاظ غريبة , و مما يدل على ذلك أيضاً أن الصور التي بثت لأمير القاعدة في الجزيرة أبي بصير و المسؤول العسكري أبي هريرة , هي صور مقتبسة من الإصدار الذي بثته مؤسسة الملاحم الجناح الإعلامي لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب , مما يدل على أن النظام السعودي لم يستطع الصبر ليتواصل مع الجانب اليمني و الذي يمتلك صوراً لأبي بصير و أبي هريرة لكونهما كانا سجينين عنده , بالإضافة أيضاً إلى أن بعض العائدين من غوانتنامو كانوا متواجدين عند أهلهم قبيل

أيام فقط من إعلان القائمة .

فهـذه الأمور السـابقة دلت علـى أن النظام السـعودي هو - حتـى الآن - لا زال في خانة (رد الفعـل) و أن نفير المجاهدين مـن غوانتنامو عجّل بالمخطط المسـبق الذي يعـد له النظام لمنع المجاهدين من النفير لأراضي الجهاد كالعراق و أفغانستان و الشيشان و الصومال و غيرها .

و هـذا واضح من تهويل القضيـة و تدويلها حتى يصبح كل من ذهب للجهاد مطلوباً أمنياً للأمن السعودي و بذلك يفكر المجاهد بهذا قبل أن يخطو أي خطوة .

كما أنه استغل امتعاض الناس و خجلهم من ورود أسـماء أبنائهم على قوائم المطلوبين السـابقة , و بالتالي يكون هذا وسيلة ضغط قوية على الأسر لمنع ابنهم من الخروج للجهاد نهائياً .

أهداف القائمة

كمـا رأينا .. فإن الهـدف من إصدار قائمـة المطلوبين الأخيرة لم يعد مختصاً بالشـؤون العسـكرية و الأمنية , و الدلالات على هذا كثيرة سـبق الإشـارة إلى بعضها , و لعل أبرزها هو أن غالبيـة هـؤلاء هم في العـراق و أفغانسـتان - كما صرح بذلـك المتحدث الرسـمي للوزارة - , و بالتالـي يظهر جلياً أن المسـتهدف بهذه القائمة أشياء أخرى , ليس منها المجاهدون المطلوبون , بل المستهدفون هم :

أولاً : المجتمع السعودي المسلم :

يتضـح هذا لكل مراقب .. فأول كلمات كاتب البيان هو ذكره للمجتمـع السـعودي , مريداً بذلـك أن يضع المسـتمع في صفـه تلقائياً , لأن العقلاء جميعاً مـن المجتمع هم في صف كاتب البيان , و أما من خالفهم فهم ليسـوا من العقلاء بل تشملهم عدة أوصاف سبق ذكرها .

و يريد بهذا إيصال رسـالة ملخصهـا : أننا مع إصدارنا لهذه القائمة الكبيرة من أسـماء الإرهابيين , فليس معنى هذا هو أننا لم نحقق شـيئاً خلال حربنـا على الإرهاب , بل إننا ربحنا رأي المجتمع و أنه يقف في صفنا , مستدلاً على ذلك بأن هؤلاء الإرهابيين كلهم في الخارج .

و هـذا الاسـتدلال في الحقيقـة هو هروب من سـؤال محرج للنظام السـعودي و هو : ما السبب في كون هؤلاء مطلوبين للنظـام مـع أن أكثرهم خرجوا للجهاد ضـد الصليبيين في العـراق و أفغانسـتان و منـذ زمن بعيد و لا علاقـة لهم بأية عمليات عسكرية داخل الأراضي (السعودية) ؟؟

و أيضاً .. فالمراقب للشأن (السعودي) الداخلي يجد أن هناك امتعاضاً من قبل الأسـر السـعودية من كون ابنهم مطلوباً لـوزارة الداخلية , حتى إن بعض الآبـاء يقول لابنه : اذهب لأي مـكان و قاتـل فيه كما تشـاء , و لكن لا تخـرج صورتك في قائمة المطلوبين !!

و هذا ناشئ من التضييق الذي تعاني منه الأسرة من مراقبة مستمرة و نحو ذلك , بالإضافة إلى ما يتعرض له أقرباء المجاهد من حرج وظيفي كبير .

و هذا الاستهداف له مقاصد عديدة منها :

أ- الحرب على المنبع الرئيسي للمجاهدين و هم الأسر المسلمة والتـي تعيش تحت حكـم النظام السـعودي , و التي كانت و لا تـزال من أهم منابع المدد البشـري الجهـادي المتزايد كما يلاحظ جلياً في العراق و أفغانستان و سيلاحظ في الصومال و اليمن بشكل ظاهر في الأيام القادمة .

فهذا التضييق و هذا الاسـتهداف الواضح للمجاهدين ممن لا علاقة لهم بأي عمل عسـكري داخل الأراضي (السـعودية) و منهـا وضعهم في قوائـم المطلوبين , يراد منه أن يمنع الآباء أبناءهم من الخروج للجهاد نهائياً و أن يكونوا هم أحرص على ذلك من النظام نفسه .

و ما وَضْعُ أسماء بعض الشهداء في خارج الأراضي السعودية إلا تأكيـد علـى هذا , و إعلان لحرب شرسـة علـى كل من له علاقة بالجهاد و المجاهدين و لو كان هذا الجهاد ضد أعتى أعداء الإسلام و المسلمين من الصليبيين المحتلين .

ب- تجريم كل مسـاعدة للمجاهديـن من مسـاعدات مالية و عينية و نحوها , و بالتالي محاولة القضاء على مصدر مهم من مصادر التبرعات للمجاهدين , فكل تاجر يدعم الجهاد في العراق أو أفغانستان أو الصومال أو اليمن و غيرها من الثغور, سيسـبب له هذا حرجاً كبيراً باعتبـاره متعاوناً مع أصحاب «الفكر الضال» و «الفكر التكفيري المنحرف» .

و بهـذا بعـد أن كان المحققون يجدون حرجـاً في القبض على من تبـرع للمجاهدين بمبلغ من المال يدعـم به المجاهدين ضد الصليبيين , لما يشكله هذا من وقوف من قبل المحقق و لو كان معنويـاً في صف الحملة الصليبيـة , فإنهم بهذا الإعلان لن يجـدوا أي حرج في إيقاع أقصـى العقوبات على هؤلاء لأنهم يقفون في صف «الفئة الضالة»!

ثانياً : المجتمع الدولي :

بعـد أن تفاخر النظام السـعودي أمام العالـم بإنجازاته ضد الإرهاب , خشي مع ظهور الثلة المجاهدة في اليمن أن يفضحوا زيف انتصاراته , فسارع بهذا الإعلان للقائمة بأن الخطر لا يزال موجـوداً , و أنـه مع كل هـذه الانتصـارات لا زال هناك بعض (من لا يزال مصراً على غيه) و بالتالي يخفف هذا وقع صدمة عودة العمليات المتوقعة لإخراج المشركين من جزيرة العرب .

كما أن إعلان وجود أخطار و عناصر إرهابية موجودة , يسـبب دعمـاً لمكانـة النظام في المجتمـع الدولي , و يجعـل له ورقة ضغـط مهمة و حساسـة أمام الحكومـات الصليبية , كما فعلت مع بريطانيا في قضية (صفقة اليمامة).

ثالثاً : الرأي العام الداخلي :

فمعَ ما يسـمى بالإصلاحات الجديدة و التي فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية على الحكومة هناك , لم يكن باسـتطاعة

النظــام تطبيقها فوراً , لما فيها مــن مصادمة لثوابت الدين و التي نشــأ عليها المجتمع , و بالتالي فلم يكن هناك من حل سوى التدريج و خداع العلماء و أهل الرأي و الفكر في البلد . فلقد اســتغل النظــام حربه على المجاهدين داخــل (الأراضي الســعودية) - كما رأينا ملابساتها في القائمة الأولى - لحرب الديــن و خلخلة الثوابت بهدوء و بشــكل متصاعد , و لو لم يكن هنــاك مجاهدون لن يعدم النظــام طرقاً أخرى لتطبيق هــذه الضغوطــات و التــي كانت موجــودة من قبــل أحداث سبتمبر كما هو معلوم .

و لذلك فهذه القائمة الجديدة يراد منها كســر الإرادة الدينية الموجــودة فــي المجتمــع ككل , و خيــر شــاهد على هــذا هو مخاطبته للمجتمع بـ (الســعودي المســلم) مــع أنه دائماً يكتفي بالســعودي و الوطن لتكريس الوطنية التي يســعى جاهــداً لفرضها على أهل بــلاد الحرمين , و هو بفعله هذا في بداية البيان يريد أن لا يثير شــكوك المجتمع حول اســتهدافه لكل المجاهدين في كل مكان بهذه القائمة .

لقــد فتحت كافــة المجالات أمــام أصحاب الاتجــاه «اللا ديني» بشــكل لا يفهــم منــه إلا أن النظــام يريــد تحقيــق الأوامر الأمريكية و الصليبية في إزالة منبع مهم من منابع الإرهاب العالمي , و هو تدين المجتمع المسلم داخل بلاد الحرمين , و هو ما يعرفه النظام جيداً و لذلك نص عليه في البيان زاعماً أن رموز الفتنة يســتغلون تدين أهل البلاد , و بالتالي فمن الطبيعي أن يســعى النظــام لإزالة هــذا التدين ليخلو الجــو للتحالف الصليبي و ذلك بمســاعدة الحليف و الصديق القوي : النظام السعودي .

دور الإعلام الجهادي



إذاً الحرب التي أعلنها النظام هي حرب إعلامية بالدرجة الأولى, ليزج المجتمع المسلم فيها لمقاصد سبق بيان بعضها .
و يلاحــظ مــن خــلال العــرض الســابق للقوائــم القديمــة , أن البيانات كانت تتطور بشــكل ملحوظ في نوعية الخطاب و الألفاظ و المصطلحات المســتعملة , فــي دليل واضح على أن النظــام يعتمد في حربه على المجاهدين بشــكل أولي على الإعلام .. و مما سبق يتبين لنا أمور مهمة أبرزها ما يلي :

١- الحرب التي أعلنها النظام على المجاهدين , هي لا تستهدف بشكل من الأشكال من خرجت صورهم فقط , بل تستهدف بشــكل أولــي مــن خاطبــه البيــان بقولــه فــي أول كلامه (المجتمع السعودي المسلم) .

٢- النظــام الســعودي لا زال فــي خانة (ردة الفعــل) و ليس باســتطاعته المسارعة إلى الفعل أو ما يسميه بـ (الضربات الاستباقية) كما كان سابقاً , و لذلك فهو يعتمد خلال حربه بشــكل أساســي على أمرين : ١- الإعلام. ٢- المال. و لا يخفى أثره و خطره .

٣- اســتهداف المجتمــع المســلم في بــلاد الحرمين هــو لحرمان المجاهديــن مــن مصدر مهــم من المصــادر البشــرية و المالية للمجاهدين .

٤- وجــود ثغــرات كبيرة في هذه الحــرب الإعلامية من أهمها: مطــاردة النظام الســعودي للمجاهديــن المقاتلين للتحالف الصليبــي و ممــن لا علاقة لهــم بأي أعمال داخليــة , و أيضاً : الأعــداد الكبيــرة المتزايدة في هــذه القوائم الأمنيــة مما يثير أســئلة كثيرة عنــد العقلاء , و أيضاً : خــروج بعض العائدين مــن غوانتنامو فــي هذه القائمــة و تركهم الزوجــة و الأولاد و الراتب الشــهري المقدم من النظام الســعودي لهم مجاناً خلــف ظهورهم و توجههم إلى أرض الجهاد , مما يشــكك في مصداقيــة اعتناق هــؤلاء لــمجرد «فكر منحــرف» مع أنهم خرجوا من برنامج المناصحة المشــهور , فكيف لا يســتطيع البرنامــج المعــد بدقة , القضاء على «فكــر تكفيري» ! و غير ذلك من الأمور التي تتبين للفطناء .

٥- اســتغلال النظام لرهبة المجتمع من هــذه القوائم و حالة الخجل و الخوف التي تسود أفراده عند خروج أسماء أقربائهم , مما يشــكل - كنتيجة طبيعية - كره لأبنائهم المجاهدين لأجل هذا الأمر و الحيلولة بين من أراد من الباقين النفير للجهاد .

هــذا العــرض الموجــز هــو - فــي الحقيقــة - مرتكزات عمل الإعلام الجهادي و الذي ينبغــي أن تكــون جهــوده منصبة على هذه القضايا الرئيســية حتى يحقق أثراً و ينتصــر فــي معركتــه .. فلا غرابة أن نقول :

إن الحــرب هي معكــم أنتم يا أســود الإعــلام الجهادي ..

و لا بد أن نعلم جيداً أن الجولة الأولى التي خســرها المجاهدون هي بســبب ضعف الإعــلام الجهادي , أما اليــوم فقد تكامل بناؤه و شــمخ بنيانه , فأعراض المجاهدين و دماؤهم اليوم هي في أعناقكم, و النكــوص من هذه الحرب التي أعلنها النظام أشبه بالفرار من الزحف .

لا ســيما و أن المقاصد ليســت متوقفة على المجاهدين داخل

الجزيرة العربية بل هي أعظم و أكبر من ذلك بكثير , و هم اليوم يطلبون دم كل مجاهد خرج من بلاد الحرمين , فنصرتكم هي نصرة لكل مجاهد .

و قد أعلنوا هذه الحرب الإعلامية استناداً لما لمسوه من آثارها و نتائجها التي حققوها , و قد أرادوا أن يعيدوا الكرة مع أخطاء فادحة و ثغرات بارزة , فإن لم يتنصر فيها الإعلام الجهادي فلن يكون بعدها للإعلام الجهادي أي أهمية أو أثر يذكر بلا شك .

لقد مضى الزمان الذي يُتغنى فيه بأمجاد سبتمبر أو النقاش حول أهميتها أو خطورة الحرب الصليبية أو أمجاد المجاهدين, لا بد اليوم من الارتقاء بدوره , فالمهمة السابقة التي أداها الإعلام الجهادي كالتحريض و غيره و نجح فيها لم تعد هي مهمة اليوم , و أذكّر بكلمة مهمة غفل عنها الكثير في إصدار : «الأزهر عرين الأسود» حيث قال الشيخ الدكتور أيمن الظواهري - حفظه الله: (كما أود أن أرسل تحية خاصة و رسالة للجنود المجهولين على ثغور الإعلام الجهادي . فأقول لهم : بارك الله فيكم وثبتكم وفتح على أيديكم, و جزاكم خير الجزاء . و عليكم الآن بعد أن ثبتّم أقدامكم في مجال الدعوة والبلاغ - رغم أنف أعداء الإسلام - أن تسعوا للرقي بأعمالكم , حتى تظهر في خير صورة وأفضل عرض . فعليكم بمزيد من النضج و الارتقاء بمستوى البلاغ , وتنقيته مما لا يفيد . و الله يوفقكم ويبارك في مجهودكم و يحفظكم و يجزيُكم خير الجزاء).

و لذلك أذكر هنا بعض الملحوظات و التي أرجو أن تؤخذ بعين الاعتبار نصرة لإخواننا في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب و للمجاهدين في كل مكان .

أولاً : أعتقد أن أول المهام التي ينبغي عملها هي نشر صور قائمة المطلوبين عبر تصاميم جذابة و يعنون لها بمثل : قائمة الشرف أو قائمة الأبطال و نحو ذلك , ثم نشرها على المنتديات و البريد الإلكتروني العائد لأهل بلاد الحرمين , و ذلك لإزالة الرهبة في نفوسهم و التي ذكرناها سابقاً و ليشعر أهالي المطلوبين بشيء من الفخر و الاعتزاز بوجود من يفخر بابنهم و يعتزبه , و هذا لا شك أنه من إخلاف أهل المجاهد بخير .

و كذلك نشر صور من استشهد منهم أو لا يزال يقاتل بتصاميم خاصة يكتب عليها بشكل بارز أنه من المطلوبين في القائمة السعودية .



جنود متعاونون مع الحملة الصليبية يتفقدون جثمان قائد المجاهدين في جزيرة العرب / صالح العوفي

و لا بد من التأكيد و التنبيه على ملحوظة قتاله للصليبيين و ربط ذلك بخروج اسمه في القائمة , و أنه ما كان ليخرج مع المطلوبين لولا قتاله للتحالف الصليبي , ففي هذا ما لا يخفى من التشكيك في مصداقية الأمن السعودي و زعزعة ما يسمى بالمكانة الدينية المهتزة أصلاً في نفوس الناس و التي ترسخت بعد مجزرة غزة الأخيرة .

فهذه خطوة مهمة لأنه و لا شك سوف يكون هناك قوائم عديدة سيخرجها النظام السعودي بين فترة و أخرى عندما يرى الحاجة لذلك , و بهذا العمل سوف نستطيع إفشال ورقة الضغط هذه , على أهالي المجاهدين و غيرهم من أهالي الرجال الذين يريدون الجهاد , أو نخفف على الأقل من وطأتها و يكون الشعور السائد الاستخفاف بهذه القوائم و التشكيك في مصداقيتها و عدم النظر لهؤلاء بأنهم مجرمون و مذنبون .

و أعتقد أنه من المهم أن تساهم المؤسسات الإعلامية في نشر صور المطلوبين و هم يقاتلون العدو الصليبي - إن لم يضر بأمنهم - حتى يستخدمها الإعلام الجهادي في بيان مقصد النظام السعودي وراء هذه القائمة و يتبين للناس حقيقة أن المستهدف من القائمة هي عقولهم هم لا رقاب المجاهدين !

ثانياً : الاهتمام بالمصطلحات و الألفاظ المستخدمة , و كما رأينا في بيانات النظام السعودي كيف أنه لم يستخدم الفئة الضالة مباشرة , بل استعمل الإرهابيين في بداية الأمر و هي اللفظة التي كانت متقبلة لدى الناس من كثرة ما سمعوها في الإعلام حيث يوصم بها المجاهدون دائماً .

فمن الخطأ الفادح استعمال ألفاظ مثل : آل سلول , النظام المرتد , الطاغوتي ... إلخ , و قد قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : حدثوا الناس بما يعرفون ! , و قد كان شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يعرض عن إعلان تكفير بعض المرتدين لأن ذلك سوف يسبب تنفير الناس و هم لم يعرفوا الحق بعد, و هذا ما نص عليه هو بنفسه - رحمه الله - في بعض رسائله , قال - رحمه الله: (و الله الذي لا إله إلا هو , لو يعرف الناس الأمر على وجهه لأفتيت بحل دم « ابن سحيم» و أمثاله , و وجوب قتلهم , كما أجمع على ذلك أهل العلم لا أجد في نفسي حرجاً من ذلك) و السبب كما بيّن قبل هذا بأنهم يستنكرون هذا و لم يألفوه .

فلابد من استعمال الأسلوب الحسن والألفاظ التي لا يستنكرها الناس , حتى نستطيع النجاح في هذه المعركة الإعلامية .

ثالثاً : التدرج المتصاعد في الهجوم الإعلامي , فليس من الحكمة أن تبذل الجهود مرة واحدة و قد تكون متبعثرة , بل لا بد من وضع الأهداف القريبة و البعيدة لنعرف مدى فعالية فعلنا من عدمه , فالهدف الأول نشر تصاميم قوائم المطلوبين أو صور أحدهم و الثناء على أفعالهم البطولية في قتال الصليبيين ثم بعد ذلك نشر إصدار من هنا نبدأ و في الأقصى نلتقي و هكذا أو نحوه .

و لا بد من التنبه - أيضاً - إلى أنه من الخطأ الفادح نشر كتاب الكواشف الجلية مثلاً و الناس لديها صورة سيئة جداً عن الكتاب , و لو تم نشر بعض الاقتباسات التي فيها بعض الحقائق التي أوردها الكتاب كتصميم أو مقالة و ذكر المرجع عند تقدير المصلحة في ذلك , حتى يزول الحاجز الذي صنعه الإعلام العميل , لرأينا النجاح الباهر الذي لن يتحقق بنشر روابط الكتاب , بل و لا نشر الكتاب نفسه مطبوعاً على البيوت ! و هكذا أيضاً نشر روابط الإصدارات الصادرة من تنظيم القاعدة في جزيرة العرب مثلاً , دون أن يتم نشر صور مشوقة لمشاهدة الإصدار كاملاً و هكذا .

من الضروري الانتباه إلى عدم التحدث كمتعاطف أو مناصر للقاعدة خصوصاً في المنتديات العامة و نحوها , بل شخص يحب الاستطلاع مثلاً أو كعدو يريد نشر فضائح القاعدة و التحذير منها و وضع الروابط ليشاهدها الناس و يحذروا منها و هكذا من الطرق الإبداعية التي تساهم ببقاء الموضوع و عدم حذفه - مع ملحوظة عدم الاستمرار بهذا المعرف حتى لا يكشف المقصد .

رابعاً : إثارة التساؤلات المنطقية لدى الناس عبر التدقيق على بعض الملحوظات و الثغرات التي تم ذكرها , كسبب تزايد هذه الأعداد و هجرة العائدين من غوانتنامو لليمن و الانضمام للقاعدة هناك , و التشكيك في نجاح الحرب الفكرية التي يشنها الإعلام العميل للنظام و قدرتها على مواجهة مجرد (فكر منحرف) و عدم استطاعتها فعل ذلك , و نحو هذا .. فإثارة مثل هذه التساؤلات سيوجد حرجاً كبيراً للنظام السعودي و يشكك في مصداقيته الكبيرة عندهم كثيراً .

خامساً : استخدام أساليب جديدة في إيصال الفكرة كالاختراق مثلاً , فيتم اختراق موقع وزارة الداخلية أو الخارجية أو التربية و التعليم أو غيرها مما يرتاده الناس - و لتكن مواقع حكومية لا منتديات عامة حتى لا تسبب ردة فعل معاكسة - و وضع التصاميم السابقة أو بعض الإصدارات أو وضع بعض التساؤلات مثل : لماذا تطلب السعودية المجاهدين في أفغانستان أو العراق مثلاً ؟؟ و وضع تصميم لأحد المطلوبين ممن استشهد في العراق أو أفغانستان مع اسمه .. و هذا له فائدة محققة و كبيرة بلا شك .

هذه بعض الملحوظات المهمة .. و بقية الابتكارات و الإبداعات هي منكم يا أسود الإعلام الجهادي .

الوحدة التنظيمية في الجزيرة العربية

لا أحد يتصور مقدار ما أثاره شريط طوله دقائق معدودة يحتوي على كلام فقط لرجال القاعدة من هلع دولي و محلي و استنفار كبير في أجهزة الجيش و الشرطة , مما جعل النظام السعودي - و حتى الآن - في حالة رد الفعل , و جعل النظام أيضاً يستعجل مخطط القضاء على تدين المجتمع في بلاد الحرمين و يتعجل في محاولة القضاء على هذا المنبع المهم للجهاد بشرياً و مادياً و لوجستياً أيضاً , و هذا مهم جداً في إفشال هذه المخطط .. كما قالت العرب : العجلة هي أم الندامات !



و بالتالي فموقف النظام هو ضعيف من نواحي عديدة إلا في الناحية الإعلامية و لذلك قام باستغلالها - و هذا يؤكد ضرورة أن يقول الإعلام الجهادي في هذه المعركة مقالته و يضع بصمته - .

و الحقيقة أنه لا غرابة في هذا لأنه قد كان هناك تنسيق و عمل جبار طوال الفترة الماضية , و كان من ثمارها انتقال ١١ من العائدين من غوانتنامو إلى اليمن , فضلاً عن غيرهم من المجاهدين ممن يجهلهم النظام حتى الآن .

فإعلان الوحدة لم يكن لأجل نفير اثنين فقط , بل الأمر أكبر من ذلك بكثير و الأيام كفيلة بكشف أمور مذهلة و مزلزلة .

و إذا كان الجنرال / عبد العزيز المقرن - رحمه الله - قد زلزل القوات السعودية و أربكها و جعلها طيلة توليه القيادة على حالة الطوارئ القصوى , فاليوم قد خرج لنا ١١ جنرالاً بل أكثر , بعضهم أكثر خبرة منه بكثير , كلهم يَعِدون النظام السعودي بالويل و الثبور , مما جعل نائب وزير الداخلية محمد بن نايف يمكث في اليمن أياماً عديدة بعد إعلان القائمة .

و لا عجب من إعلان الأمير أبي بصير الوحيشي - حفظه الله -

أن اليمن أرض مدد و إعداد و هذه الخبرات كلها بين يديه , فإذا كان الواحد منهم قادراً على هز دولة , فكيف **بعشرة** ؟ فكيف بأكثر من ذلك ؟

و لست بصدد شرح أهمية اليمن و تواجد المجاهدين فيها و الأهداف و النتائج المرجوة و نحو هذا , فليس هذا مقامه , لأننا نرجو أن يكون للمجاهدين دور كبير في بيانه قولاً و فعلاً ليكون ذلك أوضح و أقوى .

بل ما أريد ذكره للمجاهدين هو بعض الجوانب التي أرى أهمية تحقيقها , و هي تتلخص في أمرين مهمين :

الأول : **الإعلام :**

أنتم تخوضون معركة يطلق عليها في العرف العسكري : حرب الجيل الرابع , و هذه الحرب في حقيقتها تعتمد على الإعلام بشكل كبير , و نستطيع القول أن جهادكم ينقسم إلى قسمين : ١- حرب عسكرية. ٢- حرب إعلامية.

و لا غنى لأحدهما عن الآخر , فالخسارة في أحدهما هي خسارة في الآخر حتماً .

جاء في ورقة قدمها الرائد في الجيش الأمريكي ديفيد هاربر - و هو مدير إسناد للقوات الأمريكية في المحيط الباسيفيكي - في مؤتمر سنوي حول الحرب و الإعلام قوله :

(لا يحتاج المرء إلا مشاهدة التلفاز أو فتح إحدى الجرائد , حتى يعرف شكل حرب الجيل الرابع , إنها الحرب الإعلامية و المعلوماتية) .

و نظراً لأن الهدف الرئيسي لكل جانب من جوانب صراع الجيل الرابع هو الحصول على الدعم و التأييد الشعبي ؛ فإن الصراع الرئيسي أو الصراع الحاسم سيصبح حملة الدعاية المعلوماتية للحرب .

و يوضح دفيد جالولا أصل ذلك في كتابه : (حرب مقاومة التمرد : النظرية و الممارسة) قائلاً : « إن الحاجة الأساسية الأولى التي يسعى إليها المتمرد هي التمسك بالقضية , و القضية الجذابة التي تهدف إلى أكثر من مجرد إثارة أعمال الشغب و خصوصاً في ضوء المخاطر المحتملة و في ضوء حقيقة أن المؤيدين الأوائل و المناصرين النشطاء - الذين هم ليسوا بالضرورة نفس الأشخاص - يتعين تجنيدهم بوسائل الإقناع و الاقتناع بالقضية».

ثم يضيف ديفيد قائلاً :

«من المعروف أن أي قوة تمردية لا يمكنها الاستمرار و البقاء لفترة طويلة دون دعم شعبي ...

و مع وضع ما سبق في عين الاعتبار نجد أن الدعم الشعبي و الإرادة الوطنية يشكلان مركز الجاذبية لأي تمرد و أية حملة لمقاومة التمرد .

إن عزل الجمهور عن التمرد يصبح أحد الأهداف الرئيسية لمقاومة التمرد , و يوضح ذلك جالولا قائلاً : « إن المشكلة المتعلقة بمن يقاوم التمرد هي كيفية الحفاظ على منطقة خالية تماماً من المتمردين , و لا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال الدعم الجماهيري و الدعم الشعبي ... لذا فإن الجمهور يصبح هدفاً لمن يقاوم التمرد كما كان هدفاً لعدوه قبل ذلك).

فهذه هي خطة العدو مكشوفة أمامكم و قد تم تطبيق بعض منها من خلال إعلان القائمة الأخيرة كما سبق بيانه , و ليس عليكم الآن إلا مجابهتها بقوة و تركيز , و هناك أمور كثيرة يمكن من خلالها خلخلة خطة العدو الذي يمتلك زمام المبادرة في هذه الحرب من خلال سيطرته الإعلامية الظاهرة .

قد يتبادر إلى الذهن السعي لتدمير نقاط القوة لدى العدو كتدمير نقاط البث التليفزيوني و نحوها , و لكن هذا سيأتي بآثار عكسية معلومة , و لكن الأفضل غنم أجهزة البث الإذاعي التي توجد عند النظام الطاغوتي و لو كانت قصيرة المدى , و استخدامها في الوقت المناسب و المكان المناسب لتوجيه رسائل إعلامية قوية , كتحذير الجيش و الشرطة من الدخول في مواجهات مع المجاهدين و كطمأنة الأهالي و توجيه الرسائل التي تؤكد حماية المجاهدين لهم و الدفاع عنهم و الذب عن أعراضهم و استرداد حقوقهم المسلوبة و نحو هذا .

و من ذلك أيضاً : تخصيص جزء مهم من النشاط للخدمة الاجتماعية , فعندما سرق الطاغوت اليمني الأموال التي قدمت من الدول العربية لإغاثة المتضررين من السيول , و خدع الناس ببعض اللقطات التلفزيونية الملفقة للمساعدات الموهومة - كما يعلمه جيداً أهل اليمن - , كان على المجاهدين السعي في هذا الاتجاه و تقديم المساعدات للناس و لو بشيء يسير و بيان أنها من المجاهدين , و جمع الصدقات و الزكوات للفقراء و المساكين في القرى النائية , فإن هذا له صدى بين الناس و تطعيم لهم من الافتراءات التي ستلاقي أسماعهم و أبصارهم من خلال الإذاعات و التلفاز و الصحف , فهذه الأعمال و إن كانت لم تقدم من الماديات إلا الشيء القليل , لكنه عظيم في نفوس الناس و سوف ينشرونه بين أهل القرى في كافة النواحي .

و لابد من الحذر من المال السعودي الذي سيغرق اليمن من شيوخ عشائر و حتى جنود الشرطة و المباحث , و الانتباه من الثقة الكاملة بأحد مهما كان , فالحَذِرُ إنما يؤتى من مأمنه .

و لهذا فعلى المجاهدين أن يهتموا بهذا الجانب الإعلامي غاية الاهتمام , فيتحققوا في أعمالهم العسكرية صعوبة إيجاد المدخل الذي يدخل منه العدو لِلّمز في المجاهدين و إسقاط صورتهم و شرعية جهادهم أمام الناس , كرميهم بفرية قتل الأبرياء و تقصد دماء المسلمين و نحو ذلك من المواد الخصبة للإعلام المعادي , و هو أمر صعب لأن الكذب لا حدود له , لكن لا بد من إيجاد البديل القوي الذي يواجه هذه الأكاذيب كتصوير المكان قبل العملية و بعدها و نحو هذا .

و هذا يتطلب من المجاهدين دراسة بعض منهم لكتب الإعلام

المعاصر و كيفية توجيه الجماهير و كسب رأيهم في قضية ما , و كيفية مواجهة إعلام العدو , حتى تكون إصدارات المجاهدين ذات ثقل كبير في حرب الإعلام و مقنع بشكل كاف للمطلعين عليها , و هي كذلك لكن لا يمنع هذا من طلب الكمال البشري .

الأمر الثاني : **الدعم المادي** :

صحيح أن النبي - صلى الله عليه و سلم - قال : جعل رزقي تحت ظل رمحي , و ليس معنى هذا كما معلوم طرح الأسباب, و لذلك أرى أهمية إنشاء وقف لخزينة المجاهدين , أو بمعنى أدق : إنشاء عدة أوقاف صغيرة و متفرقة , حتى إذا كشف العدو أحدها لا تكون الخسارة كبيرة , و هذا أمر مهم في غاية الأهمية لأمرين :

الأول : التدفق المتوقع من المهاجرين , و معلوم لدى المجاهدين أن قدوم المهاجرين من أسباب انفتاح الرزق أمامهم , إلا أن وجود المادة الكافية للتسليح الجيد مهم في غاية الأهمية .

الثاني : حاجة المجاهدين إلى توفير المادة الكافية للأمر الأول و هو : الإعلام , بمختلف متطلباته و منها العمليات النوعية .

هذه مجرد اقتراحات أعلم أن بعضها سيواجه بعض الصعوبات التكتيكية لكن أهميتها الكبيرة يقتضي تجاوزها و مكافحتها و التغلب عليها , فالمعركة لا زالت في أولها و الأمر يقتضي أن تبدأ بداية متميزة و ساحقة , قبل أن يتوالى المدد الصليبي للطاغوت اليمني لمؤازرته و مساندته .. و لا يعني هذا عدم التريث , بل يعني أن تكون البداية بداية ذات خطوات ثابتة و متلاحقة .

و ليستفاد من تجربة إخوانكم في بلاد الحرمين , و استخلاص أهم الدروس و العبر منها و تجاوز الأخطاء التي حدثت , فهذه سنة ربانية , فقد نبه الله عز و جل صحابة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى ما حدث منهم في معركة بدر و أحد و الخندق و حنين و تبوك و غيرها و بين لهم أخطاءهم ليتجاوزوها و علمهم أسباب النصر و الثبات حتى فتحوا مشرق الأرض و مغربها بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - .

و إن كانت المصلحة غالبة في إخراجها فليكن ذلك : ليستفيد منها هذا الجيل و من بعدهم فهو سد لجزء مِنْ ثغر لم يُسد , أعني : ثغر الاستفادة من الأحداث الجهادية في جميع الثغور و إبراز سلبياتها و إيجابياتها .

و اللهَ أسأل أن يوفقكم و ينصركم و يسدد رميكم و يثبت أقدامكم و أن يمددكم بمدد من عنده إنه و لي ذلك و القادر عليه .

و الله أعلم .

فضائية الفاخورة تذيب سُمّها في عسلِ نصرة غزّة

أبو طه المقداد

الحمـد لله ربّ العالمـين والصـلاة والسـلام على نبـي المرحمة ونبـي الملحمة محمد بـن عبد الله المبعوث بين يدي السـاعة بالسـيف ليعبد الله وحده وعلى آله وصحبه و التابعين، وبعد:

«برعاية قناة الجزيرة وطلاب جامعة قطر الدولية تم أفتتاح وبد بث فضائية الفاخورة لنصرة أهل غزة ورعاية أطفالها»

توقعت أن أحتاج إلى سـاعات طويلة مـن المتابعة للتعرّف على الأهداف الحقيقية المضمرة وراء نصرة غزّة وتعليم طلبتها الـذي أعلنته قناة الفاخورة الفضائيـة : ذلك لأنّ قناة الجزيرة وظفت جزءاً من طاقمها لتغطية برامجها المبثوثة، و الجزيرة معروفة بالدهاء المتقن والدعاية المموهة جيداً حتى أنّ رسالتها تأثّر بها عقـلاء وحيلها انطلت على أصحـاب رأي ومفكّرين. غير أنّني والفضل لله وحده استخرجت من متابعة لم تتجاوز السـاعة ونصف السـاعة معلومـات كثيـرة، و وقفت على أهداف خطيرة وبواعث خبيثة وأساليب حقيرة استخدمتها القناة المتلفعة بثوب النصرة ومساندة الطلبة.

ما هي قناة الفاخورة؟

ترجع التسمية إلى اسم برز في وسائل الإعلام لمدرسة تديرها الأمم «المتحـدة» في مخيم جباليا للاجئين شـمال قطاع غزة تعرضت للقصف يوم السـادس من كانون ثاني/يناير ٢٠٠٩ ما أدى إلى استشـهاد ٤٠ شخصا ـ نحسبهم كذلك ـ وإصابة آخرين من الأهالي الذين سـكنوا المدرسة عوضاً عن منازلهم التـي دمرها اليهـود الصهاينة، ولم تتخذ ما تسـمى هيئة الأمم المتحدة إجراءات ترتقي إلى مسـتوى الاعتداء على إحدى منشآتها مما يدلل على مدى تواطئها مع القتلة.

واسـتغل القائمون علـى الجزيرة الفضائيـة حالة التعاطف الكبيرة (التي سادت ربوع العالمين) مع الضحايا الذين قتلهم اليهود داخل تلك المدرسة لتكون اسماً لافتاً للانتباه ومدخلاً ملائمـاً إلى قلوب الناس حتى يسـهل عليهـم تمرير الأفكار وزراعة القناعات الفاسدة في نفوسهم.

وجاء علـى موقع «قنـاة الفاخـورة الفضائيـة» الإلكتروني: « الفاخـورة حملة دولية أطلقها طـلاب دولة قطر بدعم من قبل صاحبة السمو الشيخة موزة بنت ناصر المسند، المبعوث الخاص لليونسكو للتعليمين الأساسي والعالي» .

وهنـا نحـن بحاجة إلـى تدقيق فـي طريقة عـرض الفكرة، والشخصيات التي قدمتها ، ووصولها إلى مستوى زوجة رئيس قطر الموكّل مـن أمريكا حمد بن خليفة ، وتخصيص الأموال لبدء العمل، واتخاذ قرار بتوجيه طاقات بشرية وفنية لها من قناة الجزيرة لإدارتها، ودفع عجلتها نحو الأهداف التي حِيكت من ذي قبل ، كل هذه تساؤلات بحاجة للإجابة، فكم من مبادرة طلابيـة وغير طلابية دُفنت في الأدراج أو تراكم عليها الغبار.

الأهداف المعلنة

عوّدنا أعداؤنا أن يخفوا حقيقة مرادهم لأنها دائماً شرٌّ يراد بنا وكيدٌ يكاد لنا ، ويتوارون خلف شعارات برّاقة وتوجهات ظاهرها الرحمة، ويصيغون خطابهم بما يتلاءم مع الوعي العام ، و الحس السـائد ليتمكنوا مـن التوغل في أعمـاق النفوس واجتياح القلـوب والسـيطرة علـى مركز العقـل وتوجيه السـلوك. وليسـت فضائية الفاخورة مستثناة من هذه العادة الغربية التي لا زالت تلاقي نجاحاً مع قلوب فارغة من التوحيد الخالص لله عزّ وجلّ ، فقد أعلنت هذه الفضائية عن أهداف جعلتها مسوغاً لوجودها على الأقمار الصناعية تتراءى للناس في دعم التعليـم بقطاع غزّة، ونصرة المعتـدى عليهم هناك، وتعبير عـن التضامن مع أطفالهم، والسـعي لدعـم الطلبة بغزّة. وقالـت القنـاة على موقعها الإلكتروني « تشـتمل رسـالة الفاخورة على ثلاثة أهداف هي التالية:

- ضرورة حماية التعليم في غزة.
- دعم جهود منظمة أيادي الخير نحو آسـيا لإعادة بناء البنية التحتية التعليمية في غزّة.
- إقامة تحالفات بين طلاب العالم بغية مسـاءلة المسـؤولين عن الاعتداءات على التعليم في أوقات الأزمات.

داعمو فضائية الفاخورة



من داخل قاعدة السيلية في قطر - اللمسات الأخيرة قبل احتلال العراق

ومــن المعلوم في العلاقات الإنســانية بالضــرورة أنّ من يدفع الثمن يحدد السياسة فمن هم الذي يتحكمون في توجهات قناة الفاخورة إن ســلمنا أنها مبادرة طلابية بحتة تقدم بها طــلاب قطر نصــرة لغزة التــي خذلتها حكومتهم ســنوات طويلة وأقامت مع قاتلي أطفالها ورجالها ونســائها علاقات وطيدة , سؤال لدينا الإجابة عليه ضمن ما هو معلن!.

لا تخفــي قناة الفاخورة الفضائيــة أن المبادرة الطلابية لاقت دعم الشــيخة موزة بنت ناصر المســند. وهــذه تحمل صفتين إحداهمــا أنّهــا زوجــة رئيــس قطر ووصفتهــا القنــاة بأنها السيدة الأولى هناك. والأخرى أنها المبعوث الخاص لليونسكو للتعليمين الأساســي والعالي . وبالنظر إلى توظيف طاقات مــن قناة الجزيرة فــي هذه الفضائية يتبين لنــا أنها مدعومة بشكل رسمي من «دولة قطر».

والوجــه الآخــر المتعلــق باليونســكو إذ أعلــن مديــره العام كويتشــيرو ماتســورا في بيان رســمي دعمه لـ « الفاخورة » وللجهود التي تبذلها « صاحبة الســمو الشيخة موزة بنت ناصر المســند» من أجل حمايــة التعليم ودعم طلاب مدارس غزة على حد قوله.

وقــد خبرنا جرائم اليونســكو الفكرية والثقافية وســعيها إلــى نشــر العولمة وتدمير القيــم والأخلاق وتحويــل الثقافات المغايرة لثقافة الغرب البائســة إلــى خرافات لا يمكن القبول بها. ولها مساع خطيرة على النسيج الاجتماعي والمعتقدات الصحيحة التي جاء بها الوحي الثابتة عقلاً ونقلاً.

وقطر التــي تحتضن أكبر قاعدة حربية أمريكية منها ينطلق المــوت إلى المســلمين في أنحــاء متعددة بمحيطهــا. وقناتها الفضائية الجزيرة قد ضبطناها متورطة في ممارســة الدعاية الموجهة والحرب النفســية ضد المسلمين في أكثر من موضع وفندنا دعواها وأبطلنا محتويات رســائلها الإعلامية بطريقة علميــة تســتند إلى أصــول المهنــة الصحفية في رســائل منشورة لنا بعوان: «امسك وسيلة إعلامية معادية»

محتوى بثها

والخطــورة تكمن فــي تراكم الجهد الإعلامــي للمحتوى الذي يتم بثّه من خلال هذه الفضائية , وبما تسنّى لنا الاطلاع عليه ظهرت بعض الأهداف الخفية والتي من بينها ما يلي:-

١) تقديم الدعم لما يســمى «الإعلان العالمي لحقوق الإنســان» الذي نقضه علماء العقيدة المسلمون بنداً بنداً وبينوا ما فيه من كفر وتبديل لشــريعة الله عزّ وجلّ وعــدوان على الحقوق التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم بما يوحى إليه.

فمن شعارات الفاخورة الفضائية التي تعلنها :

«دفاعــاً عن الحــق في التعليم» وهــذا باب من أبــواب الإعلان العالمي المذكور. وجعلت لذلك باباً عاطفياً ومدخلاً شيطانياً كمثــل «التعليم الوجه الآخر للمقاومة». و«أطفال غزّة ألوان حياة في حديقة موت» . وهنا لا أريد الخوض في دلالات الشعار الأخير لأركز في الحديث عن الحق في التعليم.

قال الله عزّ وجلّ في سورة التوبة آية ٩٧ : « الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُــولِهِ وَاللّهُ عَلِيــمٌ حَكِيمٌ» . وهذه دلالــة قاطعة على أنّ حق التعليم في دين الله تعالى غير مكفول لكل واحد فهناك أنواع من الناس يجــب أن يحرمــوا من التعليــم وهم أجدر بــأن يكتم عنهم العلم فالجهل أنفع لهم ولغيرهم.

٢) تحســين عمــل الفســاق والكافريــن الفاعلــين لنهي الله عــن المعازف والقينــات ورســم ذوات الأرواح والنحت وصناعة التماثيل ووضع بعض أعمالهم هــذه ضمن الصورة الجميلة المعبرة عن التضامن وفعل الخير.

ومــا تابعتُ مجموعة ممن يســمون بالفنانين أحدهم إيرلندي كافر يلبس في يده سلســلة قدمته مذيعــة الفاخورة على أنه فنان صاحب مشروع يســتحق الاهتمام . وطلبت منه أن يعــرض أمام المشــاهدين تجربته الموســيقية الغنائية والحفل الخيري الموسيقي الذي أقامه وجعل أمواله في خدمة مشروع «إنســاني».

وحضرت امرأة سافرة ـ اللهم اغفر لنا ذنوبنا ـ وبدأوا يبثّون لهــا أغنية ترافقها كعادتهم الموســيقى تقول فيها لبيك يا علــم العروبة كلنــا نفدي الحمى . وهي كمــا قالت تلك المرأة صنعتها خصيصاً لمساندة أهل غزة المعذبين على أيدي اليهود المجرمين. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وبعد قليل جاء رجل يحمل عوداً وفتاة ســافرة كمثل مذيعة الفاخــورة ـ ربنــا كفّر عنّا ســيئاتنا ـ وأخــذوا يتحدثون عن تعاطفهــم الكبيــر مع أهالــي قطاع غزة وشــفقتهم على أطفالهم . وكرههم لأعدائهم . ورغبتهم في تقديم أي شيء من شــأنه أن يخفــف من آلامهم . والمصيبــة المركبة أن تلك الفتاة المبارزة بمعصية الســفور تقول أنها تتبرع بإقامة حفل غنائي أسمته بالخيري لدعم أطفال غزة.

ويواصل مذيعو «قناة الجزيــرة» المنتدبون إلى «قناة الفاخورة» مهامهــم بحرف أجيال المســلمين عن المســار الصحيح عبر

إبراز هذه الشـخصيات المجرمة بحق النشء الساعية لإفساد شـبابنا وفتياتنا بتمجيد مـن يسـمونهم الفنانين وإيصال رسـالة مفادهـا: « الفنـان يعكـس هموم المجتمـع وهو ذلك البصيص من الأمل الذي نوجهه لأطفال غزة ».

وأعلنـت الفاخـورة الفضائيـة عـن عـرض « لوحـة جميلة للفنان العالمي مقبول حسـين « للبيع في المزاد العلني داعية المشـاهدين إلى التسـابق من أجل الحصول عليها. وهذا فيه بعدٌ عميقٌ لوضع هؤلاء المفسدين في الواجهة وفتح القلوب والأذهان لهم. وكرر المذيعـون قولهم بأن من وصفوه بالفنان العالمـي انطونيو باندويـدراس قدّم سـيفاً، وواصلت بث أغانٍ بالعربيـة والإنجليزيـة وبالطبـع علـى وقع مزمار الشـيطانً الموسيقي.

٣) نشـر الاختـلاط المحرّم بين الرجـال والنسـاء : إذ يظهر في خلفيـة اللقاءات الحوارية شـباب وفتيات فـي حالة اختلاط وغالبيـة الإنـاث الظاهرات فـي خلفية الصورة سـافرات لا يلتزمن اللباس الشرعي.

٤) جلـب التبرعات من جيوب العرب والمسـلمين إلى منظمة اليونسكو، ومؤسسـة أيادي الخير نحو آسيا التابعة للعائلة الحاكمة في قطر الموكلة من الأمريكان.

وهـذا التحريض على دفع الأموال قد يظـن البعض أنه يعود بالفائدة المباشرة على أهالي قطاع غزة غير أن المستفيد منه بالضرورة هي اليونسـكو والذي تعاني الدول التي أسسـتها (لاسـتدامة السـيطرة على العالم) من أزمـة مالية خانقة، وهم بحاجة إلى الإبقاء على هذه المؤسسـات ريثما يتحررون مـن أزماتهم ولذلـك فهم يتحركـون نحو غيرهـم لتمويل مشاريعهم في بلدان متعددة وهنا يدفع العرب ويجني الغرب الفوائـد . وكذلك وكلاؤه في حـين أن إصلاح المدارس المتضررة من القصف الإسـرائيلي هي مهمة المؤسسـة الدولية التي تديرهـا ومسـؤولية الفاعل الـذي دمر المـدارس وأوقع القتل بداخلها.

٥) إصلاح صورة الأمم المتحدة ومؤسسـاتها فـي أذهان الناس بعد أن ظهر تواطؤها على الدماء وتنصلها من مسـؤولياتها الافتراضية وامتناعها عن تحميل الفاعل المسؤولية عن تبعات فعله والاكتفاء بالكلام العام غير المنضبط بضابط.

وهذا الإصلاح يمكن التعرف عليه من خلال شخصية موزة بنت ناصر المسند المبعوث الخاص لليونسكو للتعليمين الأساسي والعالي، واستضافة شخصيات من بينها ميجيل ديسكورتو رئيس الدورة الـ٦٣ في الجمعية العمومية بالأمم المتحدة.

٦) صناعـة رمـوز معينـة فـي أذهـان الشـباب والأطفـال المسـتهدفين مباشـرة بهذه القنـاة الماكـرة وأغلبهم كما ظهر وسـنوضح أكثر من الفساق والكافرين ومن يسمونهم النجوم و الفنانين.

فمع الإكثار من حضور الممثلين والممثلات والمطربين و المطربات والرسامين والرسامات والفنانين و الفنانات والمخرجين والمخرجات والشـيحة موزة والشيحة عائشة ومذيعات الجزيرة بالشكل المعهود تتكون لدى هذه الشـريحة من الجمهور صورة ذهنية بأن هؤلاء هم الرموز المحركة المؤثرة في الأمة المعبرة عن أحوالها المطلوب منها التحرك والتصدر بطاقاتها وتوصيل الرسـالة إلى الجهات المتعددة ويضفي عليهم بعداً لم يكن ليظهر في الأذهان من دون هذا الضغط الإعلامي وهو الشعور الآدمي.

ومـا يزيد الصورة وضوحاً ما أخبرني به أحد الإخوة الكرام ممن شـاهدوا«الفاخورة الفضائية» بأن «الشـيخ غازي الشمري» وهو من مشـايخ جزيرة العرب اتصل على هذه القناة فكتبوا تعريفاً له على النحو التالي: اتصال، غازي الشمري، السعودية والمذيعة قالت معنا مواطن خليجي على الهاتف.

وهناك إشـارات أخرى فـي هذا الصدد حيث أن مسـرح قطر الوطني كان المكان المخصص لاستقبال (التبرعات)، وبالنظر إلى المسـارح ودورها التدميري وبالتدقيق في كلمة التبرعات وهو الاسم الغربي للإنفاق في حين أن المسلمين يدفعون الزكوات والصدقـات ويقصدون بها رضى الله تبـارك وتعالى، يمكن أن نصل إلى التعرف على المزيد مما يخفيه القائمون على القناة.

الضيوف والمشاهير

شعار قناة الفاخورة

وإذا نظرنا بشـكل سـريع إلى الضيوف الذين أعطتهم قناة الفاخـورة الفرصـة لمخاطبـة الجماهير المحبّـة لغـزّة التواقة لنصرتها نعرف مدى الخبث ومبلغ الجريمة: فمن هؤلاء الشيحة مـوزة بنـت ناصر المسـند وهي المبعـوث الخاص لليونسـكو للتعليم الأساسـي والعالي وهي زوجـة وكيل الأمريكان في قطر حمـد بن خليفـة . وميجيل ديسـكورتو رئيـس الدورة الـ٦٣ في الجمعيـة العمومية للأمم المتحـدة، وبوب جليدوف «فنان إيرلندي»، ولطيفة التونسية «قينة عربية» . والشيحة عائشـة آل ثاني عضو مجلس إدارة روتا أيادي الخير نحو آسيا، ودينا الحايك «قينة لبنانية» وجورج الصافي «مفسد لبناني»، وجمال قرماني «تشكيلي».

وفيما يخص رئيس دورة الجمعية العمومية فإن القناة عمدت إلى إخفاء صفته الدينية النصرانية ولكن جيلدوف الذي كرر وصفه بالأب كشـف هذه الصفة، فماذا يمكن أن نسـمع من بابا النصارى على شاشات التلفزة الموجهة إلى المسلمين غير ما يحببهم في الشـرك ويكرهم في الإسلام ويظهر الكفار

أكثر اهتماماً بقضايا المسلمين، كما أن هؤلاء الضيوف ظهروا خلال الساعة ونصف الساعة التي تحدثت عنها في بداية مقالتي هذه، فمن أحضروا من رموز الهدهم لشبابنا وأطفالنا ورجالنا ونسائنا المحبين لغزة غير من رأيت ؟!.

وعندما أردت أن أتثبت من الأهداف المعلنة لقناة الفاخورة الفضائية انتقلت إلى موقعها الإلكتروني وهناك وقعت الدهشة وشعرت بالذهول من مدى الانحدار وانكشاف التوجهات بهذا الشكل السافر فرأيت صوراً تتحرك بشكل فلاشي لفئة اسمها مشاهير الفاخورة وصورهم وأسماؤهم فوجدتهم مغنين وممثلين وهناك اصطدمت مع صورة لنانسي عجرم التي يكثر الضلال من الناس الحديث عنها، نعم ألا تعرفها إنها القينة المشهورة صاحبة الصيت الذائع في العري والإفساد، إنها الآن من مشاهير الفاخورة الذين يبذلون قصارى جهودهم لنصرة غزة ودعم تعليم طلابها!، د

ففكّروا معي مليّاً ماذا يمكن أن يتعلموا على أيدي هؤلاء؟

هم العدو فاحذرهم

أعلمُ أن كثيراً من الناس وأخصّ العرب سعيدون بهذه القناة الفضائية وتفاعلوا مع توجهاتها المعلنة بشكل إيجابي، ومنهم من قدّم عن حسن نيّة المال والدعم بقصد الوصول إلى أهالي فلسطين وإعادة بناء مدارسهم، وهذا أمر طبيعي في زمن الغثائية وحالة الغفلة الشديدة التي يحياها الناس في هذه الحقبة القاسية.

ولو أنّ أحدنا يمعن النظر فيما يُقدّم إليه من معلومات ويضع الأمور في نصابها لتوصّل بهدوء إلى أن الفاخورة مبادرة أممية برعاية قطرية لترميم صورة الأمم المتحدة التي مزقتها الحروب الدائرة في فلسطين والعراق والصومال وأفغانستان وغيرها وهي لا تفعل ما تُسوِّقه لنفسها من حفظ السلام ورد العدوان ونصرة الضعيف حتى تهاوى بنيانها في النفوس وهذه الحملة ببرامجها الممتدة تسعى لترميمه وإحيائه.
ولو دققنا لرأينا أن قطر ترمي إلى تسويق نفسها كحامية لحقوق المستضعفين ونصيرة للمكلومين بعد أن تجلت حقيقتها بانطلاق العدوان على المسلمين من أرضها.
ولعلمنا أن أم الكفر والإلحاد التي تعاني من أزمات أظهرها المالية تريد أن تخفف من أعبائها وإليها تصل «التبرعات» من جيوب المسلمين في العالم لاستمالة قلوب المسلمين في غزّة وفلسطين، ولاتّضَحَ لنا بسهولة الترويج للفساق والكافرين والملحدين وأعمال الطرب والمجون والانحراف خلف عنوان عريض من النصرة والدعم لغزة.

فاحذروا أيها الناس وتفحصوا كل كلمة وإشارة وصورة يصل بها الإعلام إليكم ولا تكونوا كالإناء الفارغ يقبل كل ما يصب فيه حلواً كان أو مُرّاً , خيراً كان أو شرّاً.





أبطال الجزيرة يُعِدّون العدة لإسترداد الأقصى

تفريغ كلمة صوتيه لأمير تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب



بعنوان.. « وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ »

قال تعالى : «ولما وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا» .

أمتي الغالية ..

أود أن أطلعكم اليوم عن مثل يوم الأحزاب حين تقاسموا على الكفر وتواعدوا على استئصال شأفة المسلمين في دار الأنصار مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت الأحزاب بخيلها ورجلها وأحباشها وأوباشها وبمكر من اليهود . وردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا . وكفى الله المؤمنين القتال .

وما أشبه الليلة بالبارحة . فقد تجمعت الأحزاب اليوم على أرض الإيمان والحكمة . فجاء الصليبيون من فرنس و إنجليز وإفرنج إلى البحر العربي وخليج عدن . وحاصروا جزيرة الإسلام من البحر . وجاء حكام آل سلول بمنافقيهم وعلى رأسهم محمد بن نايف . وقام هذا الرويبضة علي عبد الله صالح بفتح البلد صاغرا ذليلا لهذا الاحتلال السافر. ليرضوا عنه وما هم بفاعلين .

وجاءوا بعدة أعذار واهية فالقراصنة من البحر . والمخربون «زعموا» من البر . ومقصد هذه الحملة الصليبية الجديدة إقامة دولة اليهود المزعومة من النهر إلى البحر . وهدم بيت المقدس . والقضاء على الصامدين الأبطال في غزة . والسيطرة الكاملة على جزيرة الإسلام . فافهموا أبعاد خطتهم ومكرهم .

فهي والله حرب واحده . تفننوا في الخداع فيها. وأعانهم الخونة كما فعلوا في غزة وبغداد . فو الله إن العميل علي عبد الله صالح في اليمن كالعميل عباس في فلسطين . و محمد بن نايف كمحمد دحلان . فهم جزء من هذه الحملة. ليكملوا المخطط المرسوم ضد الشعوب المسلمة . لمنعها وعزلها عن نصرة إخوانهم في غزة .كما نجحوا في مصر والأردن وبلاد الحرمين وغيرها .

أن هذه الحملة العسكرية التي تتحشد في مأرب والجوف وشبوة وأبين وصنعاء وحضرموت . وتكتموا عليها إعلاميا. ما هي إلا خطوة لضرب القبائل وأبنائهم بحجج واهية كاذبة مقصدها الحقيقي كسر هيبة القبائل . ونزع سلاحهم والسيطرة على أرضهم . وقتل أبنائهم ليسهل على العملاء الأنذال ومعهم الحملة الصليبية إذلالكم . فكونوا على حذر .

إن قادة هذه الحملة من آل سلول والأسود العنسي . لم يذهبوا إلى غزه ليدفعوا الضرر عن أطفالها ونسائها كما شاهدتم وتشاهدون . بل انحرفت بوصلتهم . وحركوا جيوشهم ودباباتهم وطائراتهم إلى قبائل الأشراف . وعبيده ونهم وجهم ودهم ومراد والعوالق وعله والعواذل وخولان ووائلة والمياسر وبالحارث وغيرها .

إن هؤلاء الخونة منعوا في الأمس القريب من حضور القمة العبثية . وجاءوكم بالطائرات والمدفعية . وجاءكم الرويبضة يبرر فعلته البشعة في حصاركم . ويتهم وجهائكم على مرئي ومسمع من الناس بأنهم منافقون مجاملون . فإلى متى تصبرون ؟ .

يسرق نفطكم وغازكم وليس لكم منه إلا المن والأذى . ويريد أن يأخذ سلاحكم ويسيطر على أرضكم . ويفعل بكم كما تفعل اليهود بغزة. هذا والسلاح بأيديكم . فكيف لو نزع سلاحكم وأحكم عليكم السيطرة . وفرض عليكم الذلة . فماذا تظنون انه فاعل بكم ؟ .

أيتها القبائل الأبية التي شرفها الله بنصرة دينه . وسطر لها التاريخ في صفحاته أنصع صور البطولة والرجولة ..

إن إخوانكم في غزه يقاتلون بالحجر . ورأيتم ثباتهم وصبرهم على الحرب . وانتم تملكون العدة والسلاح . وغيره لم تنزع . وحرص على نصرة الإسلام كما عرفتم بذلك . جزاكم الله خيرا . فاليوم يومكم . فقوموا عليهم قبل أن يتسلطوا عليكم غدا . قوموا قومه رجل واحد . وقاتلوا عن دينكم . ومكارم أخلاقكم . وأغيثوا من استجار بكم . وأعيدوا تلك الصفحات المشرقة في النصرة والجهاد.

لا تخذلوا أمة الإسلام . لا تخذلوا أمة الإسلام . فعيونها والله عليكم. وأمالها معلقه بكم . فأنتم الوحيدون في جزيرة الإسلام من تملكون السلاح . فأنصروا المظلوم. وأغيثوا الملهوف . فإخوانكم في غزه ينتظرونكم على أحر من الجمر . فأغيثوهم وارفعوا عنهم القتل والحصار .

إن أجدادكم هم من فتح فلسطين والشام والعراق . ووصلت خيولكم إلى أبواب فرنسا وتخوم الصين , وأبناءكم هم من سطر أروع صور البطولة في بغداد وكابل والقوقاز والبلقان وغيرها , وكان لهم مجد وشرف تدمير أمريكا .

فأين أحفاد أبي طارق العرادة . وأبي علي الحارثي. وأبي الحسن المحضار. وسالم الحداد . وأبي مسلم النهمي. وغيرهم .
فإن كنتم تسمعون فإن الإسلام يناديكم .

أيها المجاهدون على أرض يمن الإيمان والحكمة ..

والله إنها حرب مقدسة . قامت في سوقكم . وعلى أرضكم. وفي جزيرتكم .اختارها الله لكم .وساقكم إليها. لينتشر الإسلام من حيث بدأ . وتعود الفتوحات إلى أهلها. وتنطلقون على عجل . إلى أكناف بيت المقدس .
قال صلى الله عليه وسلم (تغْزُونَ جزيرَةَ العرب. فيفتحها الله. ثم فارسَ . فيفتحها الله . ثم تغزون الرومَ. فيفتحها الله . ثم تغزون الدجال فيفتحُه الله). وخصّكم صلى الله عليه وسلم بجيش يخرج من أرضكم (يَخْرُجُ مِنْ عَدَنَ أَبْيَنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ) .

فاستعدوا للحرب ، واصبروا وصابرو ورابطوا ووطنوا أنفسكم عليها، فلا يأتي نصر بدون حرب وتضحيات ، وتواصوا بالموت على أرض جزيرة الإسلام، فهو شرف الدنيا والآخرة ، فأنتم قد رويتم بدمائكم أرض الرافدين ، وذرى خراسان ، وجبال القوقاز، وأرض الصومال ، وبلاد البلقان، فأولى لكم أن تسكبوها دفاعا عن دينكم وأرضكم ومقدساتكم التي دنسها الخونة .

استعدوا بألغام الدبابات ، والعبوات والأحزمة الناسفة ، والقناصات والكمائن المحكمة ، والاقتحامات الجريئة ، وليكن لكم المبادرة في كل ذلك وخاصة سكان المدن ، فالدور عليهم كبير وعظيم .

وإن هزمتم هذه الحملة ، فما بينكم وبين الفتح قليل ولا كثير، وإنما هي نطحه أو نطحتان ونهزم الأحزاب ، ونغزوهم ولا يغزونا .

وأما انتم أيها الجنود الظالمون الغازون لأهلكم وقبائلكم وبني جلدتكم ..

أين ذهبت عقولكم ، وأين غيبت ضمائركم ، تقتلون شعوبكم من أجل اليهود والنصارى ، فلماذا لا تفكرون وتصوبون الدبابات والطائرات التي تروعون بها النساء والأطفال وترهبون بها الناس نحو اليهود قتلة الأطفال والنساء في غزة وفلسطين.

لماذا سلم منكم المجرمون من اليهود ولم تسلم منكم شعوبكم ، إن أنكر المنكر أن تمر سفن النصارى الحربية بإذن من حكامكم لتقتل المسلمين في غزة وبغداد وعلى أعينكم بل وتحرسونها .

عودوا إلى غيرتكم ونخوتكم العربية على الأقل ، فلن ينفعكم الحكام الخونة غدا عند الله .

وفي الأخير أوجه ندائي إلى أحفاد الصحابة في نجد والحجاز وأهلنا في الخليج ..

أغيثوا إخوانكم أبناء القبائل في يمن الأيمان ، فإنهم يقاتلون عن دينكم ومقدساتكم ، ويريدون الوصول إلى غزة وفلسطين، فإن الإسلام نزل عليكم ، والجهاد أول ما فرض عليكم ، فأنتم حماته والذابون عنه ، وانتشر بفتوحاتكم وقتالكم ، فمسؤولية الدفاع عنه وعن أهله في أعناقكم ، وتحرير بيت المقدس وإنقاذ غزة أمانة في أعناقكم ، فإن باعها الحكام الخونة ولم يتحركوا ، فلا عذر لكم عند الله ، فيجب عليكم القيام بأمر الإسلام والجهاد وإن لم تقوموا اليوم فمتى بريكم تثورون، فأحيوا فريضة القتال وأعيدوا ذكر القادسية واليرموك وأمجاد حطين .

وما النصر إلا من عند الله ، والحمد لله رب العالمين .

وشمس المكرمات هنا تغيب

انترنت / صحف :

سلمت السلطات المصرية (الخاضعة لسيطرة الحملة الصليبية) فتاة أشهرت إسلامها إلى الكنيسة الأرثوذوكسية حيث تم إيداعها أحد الاديرة بالقاهرة.

وكان العشرات من الأقباط قد هاجموا مركز شرطة ملوي، مطالبين السلطات بتسليمهم الأخت عبير التي أعلنت إسلامها، حيث اقتحمت الشرطة منزل الأسرة التي آوت الأخت عبير، وقامت بتفتيشه، ثم اعتقلتها ونقلتها إلى مركزالشرطة.

وصبيحة يوم ٢٨،٢،٢٠٠٩ نُشر إعلان المتحدث الرسمي باسم مطرانية ملوي القمص «بولا أنور»، والذي أعلن أن الفتاة لم تُسلم لأسرتها وإنما استلمتها الراهبة «هدى حشمت»، تمهيدا لإيداعها أحد الأديرة بالقاهرة!

وفي حين لم يُكشف بعد عن مصير الأخت الكريمة وفاء قسطنطين ـ والتي قيل إنها قُتلت داخل أحد الأديرة، تحت التعذيب والإيذاء البدني والنفسي، بسبب تحولها عن المسيحية، فإن ضحية جديدة تضاف إلى سجل الضحايا الذين غُيبوا داخل أسوار الكنائس القلاعية.
فيما لا يجرؤ أحد على أن يسأل عن مصيرهم بما فيهم سلطات التحقيق الرسمية!

وفاء قسطنطين كانت سيدة راشدة عاقلة، تخلت عنها الدولة المسئولة عنها، وسلمتها إلى رجال دين متطرفين ليفعلوا بها الأفاعيل، ثم تختفي هناك داخل فيافي وصحاري مصر الموحشة! ولم يتبق منها إلا الإسم وذكرى مؤلمة وجراح .

ابنة ملوي «عبير» الصبية التي لم تتجاوز الـ ١٧ ربيعا، سُلمت ربما لتلقى ذات مصير وفاء قسطنطين، فيما توارى الجميع.

«عبير» هذا الإسم يصر دوماً على فضح تخاذلنا، ولم يندمل بعد جرح عبير العراق التي أحرق الصليبيون جثتها بعد أن تناوبوا اغتصابها.

ولا يعرف حتى الآن مصير عبير مصر التي ربما قد تكون نقلتها سيارة الترحيل التابعة للكنيسة، إلى ذات الدير الذي خُضبت جدرانه باليدين النازفتين.. للأخت الضحية وفاء قسطنطين.

اليوم ماذا عساها أن تفعل الصغيرة عبير؟!.. كيف يتحمل قلبها الغض، كل هذه القسوة وهذه الوحشية.. كيف نحميها من اليأس والاستسلام لجلاديها، وهي ترى أجهزة عاتية بالدولة، تتركها «سبية» لمن لم يتورع من قبل عن إسدال الستار على حياة الكثيرات من من اخترن طريق الإيمان ؟!

إذا كان المجتمع كله ـ بمؤسساته الرسمية والأهلية والدينية ـ قد تخاذل فيما يتعلق بمحنة وفاء قسطنطين، حتى بات مشاركا بالتواطؤ فيما آل إليه مصيرها، فإن مصير «عبير» سيكون في رقبة الجميع أيضا، بل الأخطر، أنه سيضفي الشرعية على عملية تسليمها للكنيسة، وسيؤصله كـ «إجراء عادي» ومقبول وإنساني وقانوني ودستوري وأخلاقي، مع اللاحقات من المسلمات، اللاتي ربما يعشن ذات المحنة.
إن قوى التنوير الحقيقية في مصر، مدعوة اليوم للتصدي لهذه البربرية التي لا يمكن أن تحدث في دولة محترمة وتريد أن يحترمها الآخرون.